

من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام" الخط اليسراوي العفوي الجديد: من النزعة العمالية الإقتصادية إلى التصفوية و الفوضوية و العدمية

الحلم و منظمة "إلى الأمام" و قضايا الحزب و الوحدة و الحركة الجماهيرية¹

تنبيه: كل الهوامش المصاحبة لنص الوثيقة هي من وضع موقع "30غشت".

1. عند طبع هذه الوثيقة، تم اعتماد مخطوط أصلي مكتوب بخط صاحب الوثيقة. و لأن النص الأصلي لم يكن يحمل عنوانا، و لم يكن موجها للنشر، على الأقل عندما تم التوصل به في نهاية 1979، و رغم أن النص تم نشره فيما بعد، في مجلة "الغد" المغربية، و قام بإعادة نشره أحد المواقع الإلكترونية التقدمية، و في كلا الحالتين حملت الوثيقة عنوانا واحدا، فإننا قمنا بوضع عنوان آخر مستلهم من مضمون الوثيقة، دون أن يحمل ذلك العنوان حكما مسبقا، و ذلك حرصا على الأخلاق العلمية.

الوثيقة تنتمي إلى فترة 1979، حيث دار صراع قوي بين المدافعين عن الحلم و منظمة "إلى الأمام" و ثرائهما الثوري، و الداعين إلى حل المنظمات الماركسية اللينينية المغربية، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة، و ذلك انطلاقا من أن تلك المنظمات هي منظمات بورجوازية صغيرة، لا تستطيع التجذر وسط الطبقة العاملة و لا بناء حزبا ثوري، و كل إعادة لبنائها لن يقوم سوى بإعادة إنتاج تنظيمات بورجوازية صغيرة، تحاول الهيمنة على الطبقة العاملة.

هكذا، و بعد أطروحات الخط اليميني الإصلاحية، المنكرة لأية شرعية تاريخية للحلم و منظمة "إلى الأمام"، و الداعية إلى مواجهتها عبر التحالف أو الالتحاق بالاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، مما يسمح بالتجذر داخل الطبقة العاملة من خلال الانخراط في "جبهة القوى الديمقراطية و الثورية" بقيادة الاتحاد الاشتراكي، ظهرت للوجود أطروحات أخرى تنكر هي الأخرى ثورية التنظيمات الماركسية اللينينية، ناعته إياها بالبرجوازية الصغيرة، و مبعدة إياها عن أية علاقة بالطبقة العاملة، و في منحى يسراوي، دعا أصحابها إلى حل تلك المنظمات و الالتحاق بالطبقة العاملة كأفراد، و بذلك أطلق على هذا التيار اسم التيار العفوي التصفوي و العدمي.

لم تكن مثل هذه الدعوات الأولى من نوعها التي عرفتها الحلم و منظمة "إلى الأمام"، فقد عرفت فترة 1970 - 1972 ظهور أفكار و تيارات دعت إلى تشتيت المنظمات الماركسية اللينينية، من خلال إرسال مناضليها إلى مجموعة من القطاعات الجماهيرية، و ذلك بمرور أن هذه التنظيمات بورجوازية صغيرة و يجب العمل على بلترتها، بإرسال مناضليها إلى تلك القطاعات الجماهيرية كأفراد خارج أي تأطير للتنظيمات الثورية الماركسية اللينينية، و استطاعت منظمات "إلى الأمام" و "23 مارس" التغلب على هذه التيارات. و بالنسبة لمنظمة "إلى الأمام"، فقد شكلت الندوة الوطنية الأولى المنعقدة يومي 31 دجنبر 1971 و فاتح يناير 1972، منعظفا حاسما في القضاء على مثل هذه الأطروحات بالأجوبة التي

تقديم

تكتسي أطروحة الحزب لدى الحركة الماركسية اللينينية المغربية أهمية خاصة، ذلك أن البعض اليوم، في ظل النقاشات حول الأزمة و التقييم، يريد أن يثبت وجود عناصر بروليتارية في نهج الحركة السياسي و الايديولوجي، إنطلاقا من طرح مسألة الحزب البروليتاري من طرف هذه الحركة. و لقد إشتد فزع بعض الاتجاهات التي أعطت و لازالت تعطي على المستوى النظري موقعا جوهريا لمسألة الحزب في نهجها، خاصة منظمة " إلى الأمام" التي تبلور لديها خلال سنة 1972،

قدمتها حول التجذر داخل الطبقة العاملة، و دور الجريدة المركزية و القيادة المركزية، و التأكيد على وحدة الحلم، إلا أن الأفكار التي تبنتها الندوة الوطنية الأولى، لم تكن كافية لاجتثاث جذور مثل هذه الأفكار العنوية، و انتظرت المنظمة صدور وثيقة "عشرة أشهر من كفاح التنظيم، نقد و نقد ذاتي"، و ذلك في 20 نونبر 1972، لتقدم الرد الحاسم و الفاصل، من خلال بلورة شعار "من أجل بناء منظمة طليعية و صلبة و راسخة جماهيريا"، شعار مصحوب بمجموعة من الشروط اللازمة لتحقيقه (انظر الوثيقة على موقع "30 غشت").

هكذا، عادت نفس الأفكار مرة أخرى للظهور، خلال سنة 1979، في سياق وضع هو نفسه الذي مهد لظهور التيار اليميني الإصلاحى، مع فارق أن الأولى حاولت ادعاء الثورية و الجذرية، بكونها تدافع عن الطبقة العاملة و مشروعها الثوري.

و قد كان يقود هذا التيار كل من عبد الله زعزاع و عبد الفتاح الفاكيهاني، و كلاهما كان عضوا سابقا في قيادة منظمة "إلى الأمام"، و ذلك منذ الندوة الوطنية الأولى. عبد الله زعزاع كعامل و عبد الفتاح الفاكيهاني كطالب، هذا الأخير التحق بالكتابة الوطنية للمنظمة بعد خروجه من السجن سنة 1973، بعد الحكم عليه بالبراءة في محاكمة الدار البيضاء في غشت 1973.

و بعد انتقال معتقلي "درب مولاي الشريف"، مجموعة 26 في 16 يناير 1976 إلى السجن المدني (غبيلا) بالدار البيضاء، و بعد ذلك بأيام أصدرت القيادة الوطنية بالسجن المدني "غبيلة" بالدار البيضاء قرار توقيف رفيقين من المنظمة، من بينهما عبد الله زعزاع عضو اللجنة الوطنية للمنظمة، و ذلك لمسؤوليته عن اعتقال مجموعة من أطر المنظمة، من بينهم إدريس بن زكري، فؤاد الهيلالي، عبد الله الحريف و مصطفى التسماني و آخرون، بالإضافة إلى الإدلاء بالعديد من المعلومات حول المنظمة.

و قد صادق على هذا القرار، مجلس الأطر لمنظمة "إلى الأمام" بالسجن المدني بالدار البيضاء، مع تحفظ واحد. و قد وافق المعنيان على قرار التوقيف. و بعد محاكمة الدار البيضاء و صدور أحكامها في فبراير 1977، و بعد انتقال المعتقلين السياسيين إلى السجن المركزي بالقنيطرة يوم 7 مارس 1977، و إلى حدود مارس - أبريل 1978، ظل عبد الله زعزاع ملتزما بقرارات المنظمة، التي كرستها من جديد قرارات يونيو 1977، حيث اعترف الرفيق بأخطائه و قدم نقدا ذاتيا عنها، إلا أن هذا الوضع سيتغير في منتصف 1978، و خاصة سنة 1979، حيث بدأت تتصاعد حملات الهجوم و العداء للمنظمة، و تنظم ملتقيات لذلك بسجن العلو بالرباط، حيث تجمع خليط من الأطر القديمة للحلم، و عناصر أخرى انتهازية منتمية للفصائل الماركسية اللينينية. هكذا انطلقت حملات اتهام المنظمة بالبروقراطية و الستالينية و الهيمنة إلى غير ذلك من النعوت. في هذه اللحظة بدأت مواقف عبد الله زعزاع تتغير في اتجاه الابتعاد عن خط المنظمة الثوري، إلى أن ظهرت بشكل سافر من خلال مساهمته في بلورة و مشاركته في "بيان التجميد للعضوية من منظمة "إلى الأمام" الصادر في يونيو 1979، و الذي وقعه 52 مناضلا. و تميز عبد الله زعزاع

مفهوم معين للحزب و نواته القائدة، منظمة المحترفين الثوريين، و التي ترى اليوم أن الطعن في التصورات التي بلورتها في هذه المسألة، هو الرجوع بالحلم إلى ما قبل نشأتها، بل إلى ما قبل 130 سنة من نضال البروليتاريا، و تجربة الحركة الشيوعية العالمية، و ذلك حين بدأنا نقدم بعض الانتقادات في هذا الصدد.

و حتى يكتسي هذا النقاش وضوحا لا بد منه منذ البداية، فإن مفهوم منظمة المحترفين الثوريين طرح من طرف لينين في الفترة ما بين 1902 و 1906 في عدة كتابات، و أصبح منذ التجربة البلشفية عمادا من أعمدة التنظيم الحزبي بالنسبة

بإصداره لوثيقة "الحد الفاصل بيننا"، التي تعتبر الوثيقة التأسيسية لهذا التيار التصفوي، الذي بعد توقيع أعضائه، و هم أغلبية الموقعين على بيان التجميد للعضوية، أصدروا توضيحا يعلنون من خلاله، عن هويتهم السياسية و الإيديولوجية، و يفترون مع اتجاه المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري اليميني، الذي كان هو الآخر قد وقع بيان التجميد للعضوية من المنظمة، و كلاهما "التوضيح" و "الحد الفاصل بيننا" كانت قد أصدرتهما مجلة "آفاق" الصادرة آنذاك بفرنسا، في عدديها 4/3 و العدد 5. و من المعروف أن مجلة "آفاق" كان يصدرها مجموعة من العناصر الانتهازية، التي انقطعت علاقة المنظمة بها، منذ 1976 بالنسبة للبعض، و عادت للظهور في أجواء الصراع داخل المنظمة، و محاولة استثماره لأغراض انتهازية.

أما عبد الفتاح الفاكيهاني، عضو الكتابة الوطنية للمنظمة إلى حدود اعتقاله في حملة دجنبر 1975. مارس 1976، فقد انضم إلى الثنائي عبد الله المنصوري و المشتري بلعباس ليشكلوا خلال تواجدهم بالسجن المدني "عين برجة" بالدار البيضاء، ثلاثيا يمينا واجه الخط الثوري للمنظمة، قبل و إبان محاكمة الدار البيضاء في يناير- فبراير 1977. و بعد الانتقال إلى السجن المركزي بالقيظرة، في مارس 1977، و بعد نقاش مستفيض معه، انتهى بقبوله قرارات يونيو 1977، و التي أوقفت من المنظمة بسبب مسؤوليته في درب مولاي الشريف عن مجموعة من الاعتقالات التي مست المنظمة، الشيء الذي أدى به إلى الانفصال عن باقي المجموعة الثلاثية. و قد ظل عبد الفتاح الفاكيهاني ملتزما بقرارات المنظمة و موافقها إلى حدود منتصف 1978، حيث بدأت مواقفه تتغير نحو اتجاه عفوي فوضوي، سيعبر عن نفسه لاحقا، خلال و بعد صدور بيان يونيو 1979 ("بيان التجميد للعضوية..."). لقد استطاع هذا التيار التصفوي أن يجر إلى صفوفه العديد من المناضلين المنتمين للتنظيمات الثورية شبه الجماهيرية، و التي كانت تشكل قاعدة أساسية للتيار الثوري، الشيء الذي لم يستطع التيار اليميني تحقيقه، مستغلا في ذلك الفراغ الذي تركه صراع الأطر الثورية ضد الثلاثي اليميني الجديد الممثل في : أبراهام السرفاتي و بلعباس المشتري و عبد الله المنصوري و أتباعهم، و قد كان أحد أسباب هزيمة الخط الثوري عند انطلاق سيرورة الصراع ضد الخط التحريفي الجديد، بعد انتهاء الصراع ضد الثلاثي اليميني. و بعد صدور قرارات 12 نونبر 1979، عرف هذا الاتجاه التصفوي حالة من التشتت ثم الانقراض حيث تخلى العديد من أعضائه عن الفكر الماركسي اللينيني، و البعض الآخر عن الفكر الماركسي، و تبنى الآخرون خطوطا إصلاحية جسدها بالالتحاق بصفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بعد خروجهم من السجن، و ظل آخرون على خط ديموقراطي و انتهى المآل بآخريين إلى التخلي عن أي نضال، أما زعيمى التيار فتحولا إلى، إما إلى تبنى فكر الثورة البورجوازية الفرنسية، أو العمل في المجتمع المدني خارج أي عمل سياسي (حالة عبد الله زعزاع) أو تبنى فكر ديموقراطي إصلاحى بدون تبعات

للحركة الشيوعية العالمية، إلا أن هذا لا يعني بالنسبة للماركسين اللينينيين، تخليهم عن مهمة التطوير الدائمة، التي يمكن أن تمس هذا المفهوم أيضا، إذا ما أثبت تطور النضال السياسي الثوري البروليتاري ضرورة ذلك. لكن المشكل الراهن بالنسبة لنا لا يرقى الى هذا المستوى، وإنما يتمحور حول موقع هذا المفهوم لدى الحركة الماركسية اللينينية، ونهجها السياسي العام من خلال التجربة، وإذا كانت مسألة الحزب نقطة التقت حولها كافة الاتجاهات داخل الحزب، إلا أن منظمة إلى الأمام كانت الاتجاه الوحيد الذي أولى لها أهمية خاصة، وقام ببلورة تصورات مدققة حولها². ولقد تم تسطير ذلك عبر أطروحات سياسية ونظرية سنحاول التعرض لبعضها وذلك كالتالي:

• إعتبرت منظمة إلى الأمام، أن الحركة الماركسية اللينينية تشكل النواة الأولى لحزب البروليتاريا الثوري المنشود³.

سياسية (حالة عبد الفتاح الفاكيهاني). أما حلم الذهاب إلى الطبقة العاملة فقد ذهب أدراج الرياح.

2 . هذا الطرح غير دقيق، فقد كان لكل اتجاه داخل الحركة الماركسية- اللينينية المغربية تصوره، فالخلافات بين منظمة "إلى الأمام" و "23 مارس" برزت منذ 1972، واستمر ذلك خلال 1973 - 1974، وتميزت منظمة "لنخدم الشعب" باتجاه شبه ماوي له أطروحات أخرى. (لمزيد من الاطلاع انظر "تقرير 20 نونبر 1972"، "الوضع الراهن و المهام العاجلة..."، "لنبن الحزب تحت نيران العدو"، "الندوة التحضيرية للقطاع الطلابي"، "من أجل خط ماركسي لينيني..."، وكل هذه الوثائق منشورة على موقع "30 غشت").

3 قام الكاتب بعزل الأطروحة الأممية عن مجموعة من الشروط صاحبت الشعار المركزي: "من أجل منظمة طليعية صلبة و راسخة جماهيريا". و قد جاء في وثيقة "10 أشهر من كفاح التنظيم... ما يلي من الشروط المصاحبة لبناء منظمة المحترفين الثوريين:

"و سنعيد في هذا التقييم بناء المحاور الرئيسية التي يجب أن تستند عليها الانطلاقة الجديدة لتنظيمنا نحو بناء منظمة ثورية صلبة :

أ. منظمة ثورية مهيكلية من المحترفين الثوريين، منظمة الشيوعيين الذين ينظمون و يكرسون حياتهم و عملهم اليومي للثورة، ينشقون من النضال الجماهيري و يشكلون طليعته، على هذا الأساس يتحدد أعضاؤها و تتحدد مقاييس استقطابهم. منظمة ثورية تندمج بحركة الجماهير، و تعمل على بلورة القوى المتقدمة من حركة الجماهير في كل مرحلة.

ب. منظمة ثورية تستند على الدور الطليعي للبروليتاريا في الخط و الممارسة، و تضع مهمة التجذر داخل الطبقة العاملة في مقدمة كل المهام، من أجل بناء الطليعة البروليتارية، و بدون إنجاز هذه المهام "فإن تنظيم المحترفين الثوريين قد يصبح ألعوبة و مغامرة و مجرد شعار بدون مضمون" كما يقول لينين، منظمة ثورية تستعمل نظرية البروليتاريا: الماركسية اللينينية في تحليل الواقع الملموس لبلادنا، و حوض نضال حازم ضد مختلف الإيديولوجيات البرجوازية.

ت. منظمة ثورية تستند على المركزية الديمقراطية في ديناميتها الداخلية، في جدلية القيادة و الخلايا و تستمد حيويتها من جدلية المنظمة و الجماهير، منظمة مبنية على وحدة الإرادة و وحدة الفكر و الممارسة الجماعية، مركزية لبناء وحدة متينة سياسية و إيديولوجية و تنظيمية و تركيز التنظيم كبلورة للقوى الطليعية للجماهير، و ديمقراطية تفتح مجال المبادرة و الانتقاد داخل التنظيم.

• إن مهمة الحلم هي بناء هذا الحزب، و ذلك انطلاقا من تشييد منظمة صلبة للمحترفين الثوريين تشكل النواة القائدة للحزب⁴.

• إن تشييد منظمة للمحترفين الثوريين، يمر عبر الاعتماد على المقدمة التكتيكية، الشببية المدرسية التي تشكل المثقف العضوي للجماهير الشعبية، و التي ستفرز أطرا متمرسة على النضال السياسي الثوري، تحمل فكر و إيديولوجية البروليتاريا

ث. منظمة ثورية ذات قيادة صلبة و متينة، قادرة على بناء الخط السياسي و ضمان تطبيقه في كل مرحلة، و تطوير ممارسة التنظيم، و قدرة على ضمان الوحدة السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية، و على نهج المركزية الديمقراطية داخل التنظيم.

ج. منظمة ثورية يلتزم أفرادها بالانضباط الصارم على كافة المستويات، انضباط الرفاق للخلايا، انضباط الأجهزة الدنيا للأجهزة العليا، و بالممارسة الدائمة للنقد و النقد الذاتي جماعيا و فرديا، داخليا و أمام الجماهير.

ح. منظمة ذات خط سياسي سديد، ينبع من الاستيعاب الدائم لخصائص الوضع ببلادنا و تطورات، و القدرة على استعمال المنهج الماركسي-اللينيني في تحديد هذا الخط، خط سياسي يستند على تطوير حركة الجماهير الثورية و السير على رأسها، و في مقدمتها الفلاحين الفقراء و شبه البروليتاريا و مجموع قوى الشعب الثورية، بطليعة البروليتاريا و حزبا الطليعي، نحو آفاق الحرب الشعبية، و دمج العنف الثوري بمسيرة حركة الجماهير نحو الحرب الشعبية.

خ. منظمة ثورية تساهم بصفة فعالة في وحدة الماركسيين اللينينيين، مساهمة تبنى على حصيلة نضال المنظمين الثوريين و مكتسباتهما داخل الحركة الجماهيرية، من أجل منظمة ماركسية-لينينية موحدة نحو بناء الحزب الثوري".

ونقرأ في الجزء الخاص بالقرارات التنظيمية، ما يلي:

"استنادا إلى كل الخلاصات الأساسية السابقة فإن ل.و.(المقصود هنا اللجنة الوطنية) في إطار الانطلاقة الجديدة للتنظيم تذكر مجموع الرفاق

بأن المهام التي حددتها الندوة الوطنية لا زالت مطروحة للإنجاز من طرف مجموع منظماتنا، و هذه المهام هي :

- التجذر داخل الطبقة العاملة و تكوين أطر بروليتارية.

- التوحيد

- إعداد الاستراتيجية الثورية.

- الجريئة.

و في مقدمة الشروط الأساسية لإنجاز هذه المهام العظيمة، بناء التنظيم بناء قويا و صلبا انطلاقا من الأسس المطروحة في مقدمة هذا التقرير، و هذه المهمة الأساسية تتطلب عملا دائما و مجهودا أكبر من طرف كل الرفاق لضرب كل المسلكيات البرجوازية داخل التنظيم، من ليبرالية و تحاون من أجل بناء تنظيم مركزي-ديمقراطي، وبناء قيادة متينة، كما أن الأسس تبلور من أجل بناء منظمة ماركسية لينينية موحدة، و هذا البناء حاسم في إنجاز مهامنا الثورية، و إن بناء تنظيمنا بناء ثوريا يشكل عملا أساسيا في هذا الاتجاه، في الوقت الذي تتحدد وتتقدم فيه شروط مد ثوري جديد، الشروط الموضوعية و الذاتية لمرحلة أعلى في الكفاح الجماهيري. إن شوطا هاما قد قطعناه في إنجاز هذه المهام، إلا أن عملا أكبر لازال

و تنقله للطبقة العاملة و الفلاحين و باقي الجماهير الشعبية⁵.

و اعتبرت منظمة الى الأمام أخيرا أن وحدة الحلمم خطوة ضرورية على طريق بناء هذه المنظمة و الحزب. و إذا كانت هذه هي الأطروحات النظرية السياسية و الايديولوجية التي بلورتها الى الأمام خلال مسيرتها، و على الخصوص منذ 1972 في مسألة الحزب، فماذا كانت تجربة الحلمم و ضمنها منظمة الى الأمام على مستوى الممارسة في ظل الصراع الطبقي ؟

ينتظرنا من أجل إتمامها. و أن ل.و. ستعمل على توفير كل الشروط لمواصلة إنجازها، و هي تدعو كافة الرفاق إلى الالتفاف حول هذه المهام بحماس أكبر و المثابرة الدائمة لتحقيقها في شروط المرحلة الجديدة".

و لتطبيق المواد الخمس (المركزية الديمقراطية، مبدأ القيادة الجماعية، مبدأ الانضباط البروليتاري، مبدأ النقد و النقد الذاتي، و بناء التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية) من الفصل الأول، المبادئ التنظيمية، طرح النظام الداخلي للمنظمة في المادة السادسة شروطا ضرورية لذلك، و تتمثل فيما يلي:

المادة السادسة :

"يتطلب التطبيق الحي لهذه المبادئ توفير الشروط الخمس التالية :

1) تدعيم الطابع البروليتاري للمنظمة و ردها بالعناصر الطليعية الصلبة من العمال و الفلاحين الفقراء و المتوسطين، و تثقيفهم تثقيفا نظريا عاليا، و تطوير مبادراتهم و فتح فرص الاحتراف الثوري أمامهم بالدرجة الأولى، و إعطائهم الأولوية في تحمل المسؤوليات داخل المنظمة، و ذلك من خلال العمل على غرس جذور المنظمة في صفوف البروليتاريا و الفلاحين و مجموع الجماهير الكادحة، و تعزيز مضمونها الطبقي باضطراد.

2) التثقيف النظري الشديد و العمل المتواصل على دراسة الماركسية-اللينينية و روحها الحية، و اكتساب القدرة على استعمالها كأداة للتحليل الملموس، و النضال ضد كافة أشكال الايديولوجية البرجوازية و الإقطاعية و الاستعمارية الجديدة، و أشكال الجمود العقائدي و التجريبية و الانتقائية، و بصورة خاصة التحريفية المعاصرة

3) التطبيق المتواصل لسياسات المنظمة و خططها المرسومة و تصفية أشكال الممارسات الليبرالية و الذاتية و الانعزالية.

4) الإعتناء بالتنظيمات الثورية شبه الجماهيرية و الجماهيرية و تطويرها و تمتينها بشكل دائم، و إحكام روابط المنظمة معها.

5) التطهير المستمر للمنظمة و الحفاظ الدؤوب على نقاوتها الثورية، و ذلك بنبذ العناصر المتفسخة و المرتدة و المنحلة و العديمة الحيوية، و تعويضهم بالعناصر المتوثبة، و تجديد دماء المنظمة باستمرار".

4. هناك عزل للطرح عن مضمونه الحقيقي.

5. هذا الربط بين منظمة المحترفين الثوريين و مفهوم المقدمة التكتيكية، يقوم على تشويه للأطروحة، من خلال الخلط بين الشبيبة المدرسية،

كحركة، و بين الأطر الثورية التي تفرزها هذه الحركة، و هي بالمناسبة أطر شيوعية مستعدة للذهاب للطبقة العاملة أو الفلاحين، أما الشبيبة المدرسية، كحركة، ليس عليها ذلك، و تنحصر مهامها في النضال من أجل المطالب الديمقراطية و الثورية للحركة. إن الطرح الأمامي يميز بين الحركة الطلابية، التي يمكن تصنيفها كفتنة بورجوازية صغيرة، لكن مع تسجيل ملاحظة أساسية، و هي وصول الآلاف من أبناء العمال و الفلاحين و

لقد ارتبطت هذه التصورات حول الحزب، بتعامل ضيق من طرف الحلم⁶، مع الحركة النضالية للجماهير، يقوم على عملية الفرز بين مناضلي الشعب، بهدف واحد ووحيد، هو استقطاب العناصر المتحمسة للاحتراف الثوري، و بالتالي لم تكن تعطي هذه الحركة أهمية للنضال الجماهيري إلا من زاوية تزودها بالأطر، و ذلك في ظل عملية انتقاء نخوية، تتخذ فيها المستويات العليا الموقع الرئيسي من الإهتمام على المستوى التنظيمي، و لا تشكل المستويات الدنيا سوى مرحلة إنتقالية و تدريبية فقط⁷.

و هكذا فإن عملية تأطير الجماهير، لم تكن مطروحة في الواقع الملموس بالنسبة للمحاولات التي ارتبطت بتجربة الحلم، في مجال النشاط وسط التنظيمات الجماهيرية، فلقد تميزت بإخضاع هذه التنظيمات للتوجيه المباشر للحلم: كما هو الحال بالنسبة لأوتم و ن و ت (النقابة الوطنية للتلاميذ)⁸، أما التنظيمات الشبه جماهيرية، فاتخذت أشكالا معقدة جدا، و مستويات متعددة على نمط المدارس البرجوازية، ينحصر هدفها الوحيد في الإستقطاب للمنظمة المركزية⁹. إن الخلط بين

الكادحين إلى الجامعة، ابتداء من 1968، الشيء الذي شكل أرضية من حيث الأصول الاجتماعية للوفدين الجدد، لظهور التيار الثوري داخل الجامعة، و خاصة التيار الماركسي اللينيني. ثم إن الحركة التلاميذية لا يمكن تصنيفها ضمن البورجوازية الصغيرة، لأن أغلبها آنذاك من أبناء الكادحين، و غالبا ما كانوا يتحولون إلى عمال أو عمال زراعيين، أو تقنيين عمال في الصناعة أو الزراعة في أحسن الأحوال، و يشكل التلاميذ الغالبية العظمى من الشبيبة المدرسية، و قد تم تصنيفهم ضمن أشباه البروليتاريا. أما استعمال "الثقف العضوي" للتعبير عن علاقة الشبيبة المدرسية بالجماهير الأساسية، فقد كان خطأ في استعمال المفهوم، لكنه كان محدودا و تميز به بعض الرفاق لا أقل و لا أكثر و منهم أبراهام السرفاتي.

6 . هناك تعميم لا يفيد التحليل الموضوعي، فالتنظيمات الثلاث للحلم كانت مختلفة على هذا المستوى، و بالنسبة ل "إلى الأمام" فالإهتمام بالزرعة "الاستقطابية" في علاقتها بالجماهير، فمجانبا للصواب، و قد يكون العكس هو الصحيح، كما هو الحال بالنسبة للفترة الممتدة من 1970 إلى 1972.

7 . إن ادعاء التعامل الضيق مع الحركة الجماهيرية، بهدف واحد ووحيد، و هو استقطاب العناصر المتحمسة للاحتراف الثوري، عبر عملية انتقاء نخوية، تتخذ فيها المستويات العليا الموقع الرئيسي من الإهتمام على المستوى التنظيمي، و لا تشكل المستويات الدنيا سوى مرحلة إنتقالية و تدريبية فقط، فبالإضافة إلى كونها تشويها لمواقف المنظمة، فهو لا يقوم على أي أساس أو حجة، و قد أشرنا إلى خلافه من خلال فقرات بعض الوثائق المذكورة أعلاه. فالمعروف عن الحلم عموما، هو إهتمامها بحركة الجماهير النضالية، حد التطرف أحيانا. لعل الكاتب سقط في نظرة ذاتية، لكونه كان عضوا في إحدى التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية، و اكتشف مع غيره وجود تنظيم مركزي وراء كل التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية، و قد قامت كل التيارات الانتهازية اليمينية أو اليسراوية باستغلال ذلك لاستقطاب المناضلين، تحت شعار كاذب "الديموقراطية و المساواة".

8 . إشكالية التوجيه المباشر للحركة الجماهيرية، أو لمنظمتها الجماهيرية، ففضية فيها نقاش، و وجهات نظر داخل الحركة الشيوعية العالمية، و ليس هنا مكان مناقشتها.

9 . الطرح الذي يقدمه الكاتب حول التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية، من منظور أمامي، لا علاقة له بالحقيقة، فلم تكن تلك التنظيمات مجرد

العمل السياسي الثوري و العمل النقابي الثوري، كان من نتائج هذا الفهم لمسألة التنظيم و منظمة المحترفين الثوريين. و لقد نتج عن هذا النهج، أن أطر و مناضلي الحلمم، كانت تنتقل تدريجيا من الارتباط العضوي بالجماهير في مواقعها النضالية، الى موقع العزلة عنها في ظل السرية و الإحتراف. و بدل أن تعرف الحركة تقدم سيرورة إدماج مناضليها الثوريين، حدث عكس ذلك، بحيث أنه بدل عملية البلترة التي كان يسعى إليها مناضلوها، الذين أفرزتهم الشبيبة المدرسية، حدثت عملية البرجزة للأطر النادرة التي كانت تنتمي للطبقة العاملة، إذ تم عزلهم عن مواقعهم¹⁰، و هكذا لم تكن تشكل الحلمم طوال تجربتها و لحد الساعة، سوى مجموعة من التنظيمات الثورية، لا توجد بينها و بين حركة الجماهير أية ارتباطات عضوية، خارج بعض التأثير في صفوف الشبيبة المدرسية¹¹.

إن التجربة تبين فشل اعتماد الحلمم على الشبيبة المدرسية، من أجل حل مشكلة الأطر، و من دلائل هذا، التراجعات الهائلة، التي عرفتها هذه الحركة في صفوفها منذ انحسار المد النضالي في حركة الشبيبة المدرسية سنة 1972¹²،

فضاءات للاستقطاب للمنظمة المركزية كما يدعي الكاتب، فهي بالإضافة إلى هذا، كانت مدرسة لتدريب و تكوين الدماء الجديدة من المناضلين الذين تفرزهم الحركة الجماهيرية من داخلها، بما يعني انخراطهم الدائم إلى جانبها و الدفاع عن مطالبها و حقوقها و مكتسباتها ... بل و قيادة نضالاتها، ثم إن منظمة "إلى الأمام" كانت تميز بين التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية التابعة لها مباشرة (حلقات، لجان، لجان أساسية) و تلك المرتبطة بها من خلال العلاقة مع منظمة "23 مارس" مثال "الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين" (انظر وثيقة "الندوة التحضيرية للقطاع الطلابي").

10. إن الخلط بين العمل السياسي الثوري، و العمل النقابي الثوري، و الذي ميز إلى حد ما تجربة الحلمم خلال 1970 - 1972، قد تقلص بالنسبة لفترة 1972-1974، لا يمكن رده إلى فهم فقط لمسألة التنظيم، و خاصة لمسألة الاحتراف الثوري، بل يعود إلى خط العفوية خلال 1970-1972، ثم استمرارية لدى القيادة السياسية، لفهم للسياسة يتمحور حول ضرورة الحضور السياسي في كل مناسبة و حين و في مقدمة المشهد السياسي، للقيام بعمليات سياسية ذات صدى مباشر، و هذا المنظور البورجوازي الصغير، الموروث عن أحزاب الحركة الوطنية، بما فيها الحزب الشيوعي التحريفي المغربي، و هذه السيئة ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، و تطبع سلوك أغلب المناضلين الماركسيين اللينينيين، و عموما لا يمكن مناقشة هذه الأطروحة خارج الخط السياسي لكل تنظيم ماركسي لينيني.

11. تقييم ذاتي لا أساس له، و لعل الكاتب كان جاهلا بالتجربة.

12. هناك مرة أخرى جهل بالحقائق: ففي 1970-1972، كان خط العفوية سائدا داخل منظمة "إلى الأمام". و إذا كانت فترة 1972-1974 قد تميزت بالجزر داخل الشبيبة المدرسية، فلم يكن هذا واردا بالنسبة للحركة الجماهيرية. و ارتكبت المنظمة أخطاء فيما يخص الشبيبة خلال 1972-1973، لكن تم تصحيحها خلال 1974، و فيما يخص التراجعات، فقد كانت قليلة، و هي نتاج عملية فرز بين المناضلين الثوريين الحقيقيين، و العناصر الانتهازية المتتحفة بالحركة خلال بدايتها، و ذلك مع اشتداد القمع الرهيب آنذاك، و فترة 1972-1974، فقد مثلت عموما أوج ما وصلت إليه المنظمة في علاقتها بالحركة الجماهيرية، و هو أمر يعترف به حتى زعيم اليمين الجديد المشتري بلعباس في استجوابه مع جريدة "الأحداث المغربية" في سلسلة "أقصى اليسار".

بالإضافة الى طبيعة الأطر التي استخلصتها الحمل من هذه الشبيبة، و التي لايمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال، أطرا بروليتارية¹³، و لم تتمكن الحمل من إنجاز عملية توحيد فصائلها، و لكنها عرفت منذ 72، إلى اليوم سيرورة انشقاقات و تشتت واسعة¹⁴. فماذا يعني هذا؟ إن التنظيم الذي بنته "إلى الأمام" و تنظيمات الحمل عموما، لم تكن تنظيمات للمحترفين الثوريين، و لا أنوية بروليتارية، و إنما كانت مجموعة هياكل حرفية مغلقة، ارتبطت أساسا بالشباب المدرسي، و برزت هشاشتها أمام أجهزة القمع، و ظلت الإعتقالات تحطمها في الأعماق مرات عديدة، و إلى يومنا هذا. و هكذا يبقى علينا اليوم، تحليل هذه الأطروحات و الممارسات، حتى نعطي للواقع الذي تعرفه الحمل، مضمونه الحقيقي و دلالاته الطبقيّة، في واقع الصراع الطبقي، و هذا هو الغرض من هذا الموضوع، الذي لا يدعي لنفسه اكتمال الوضوح أو امتلاك الحقيقة، و إنما هو مساهمة في طرح مجموعة من الإشكالات، كمشروع للبحث و التحليل، و هي محط للنقد و الصراع.

I. كيف نشأت الحمل و ماذا تمثل اليوم؟

إن تجربة الحركة الشيوعية العالمية، و المبادئ العامة النظرية في الماركسية اللينينية، تُحدد بوضوح، أن النواة لحزب البروليتاريا، تتشكل من العناصر الطليعية، كفاحيا و سياسيا، و إديولوجيا، في صفوف الحركة العمالية، و ليس مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار، المتمرسين في الكفاح السياسي الثوري، و المتبنين لبعض الحقائق العامة للماركسية اللينينية، من الزاوية الفكرية أو اللفظية¹⁵، و في غياب حزب البروليتاريا، لا يمكن لأي مثقف ثوري برجوازي صغير، لم يعرف سيرورة

13. بالنسبة لسؤال هل الأطر المنبثقة من الشبيبة المدرسية أطر بروليتارية؟ لا شك أن للكاتب فكرة واحدة، هي البحث عما يساند طرحه المعادي للتنظيم الماركسي اللينيني، الذي لا يمكنه حسب زعمه أن يرتبط بالطبقة العاملة و لا و لا و لا ... إن اختزال "بروليتارية" في انتماء إلى العمال فقط هو نزعة عمالية، فماركس و إنجلز و لينين، هم قادة بروليتاريون بل معلمون لها، مع أنهم لم يكونوا عمالا، ثم إن المنظمة الثورية الماركسية- اللينينية، هي منظمة شيوعية يختفي فيها الفارق بين المثقف الثوري و العامل الطليعي الثوري، فكلاهما شيوعي، و تجمعهما مبادئ الأهمية الشيوعية و المفهوم البروليتاري للعالم.

14. وراء فشل وحدة فصائل الحمل و التشتت الذي تعرضت له، هناك عوامل كثيرة، و ليس عاملا واحدا، و لا شك أن من بينها، ضعف إنجاز مهام التحدر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين، و قد ساعدت على ذلك عوامل أخرى مثل القمع الرهيب، الخلقية و الخلافات و غيرها.

15. يرى الكاتب "أن النواة لحزب البروليتاريا، تتشكل من العناصر الطليعية، كفاحيا و سياسيا، و إديولوجيا في صفوف الحركة العمالية..."، و يرى كذلك أن في غياب حزب البروليتاريا، لا يمكن للمثقف الثوري البرجوازي الصغير أن ينصب نفسه ممثلا أو معبرا عن مصالح البروليتاريا. جوابنا على هذا، هو التذكير بأن منظمة "إلى الأمام" قد تصدت لهذه الموضوعية في كثير من وثائقها، و منها، "الوحدة الجدلية لبناء الحزب الثوري و التنظيم الثوري للجماهير"، و "عشرة أشهر من كفاح التنظيم..." و "لبن الحزب الثوري تحت نيران العدو..." و للمزيد من الاطلاع حول النواة الثورية لحزب البروليتاريا (منظمة المحترفين الثوريين)، يجب الاطلاع على كراسة "ما العمل" و النصوص الأخرى للينين، التي تشترط

الانصهار في بوتقة الحركة العمالية، و بارتباط عضوي بها، و لم تفرزه الحركة العمالية كأحد قادتها الثوريين، أن ينصب نفسه ممثلاً لها أو معبراً عن مصالحها¹⁶، و هذا وحده لا يكفي، لأنه في واقع الصراع الطبقي ببلادنا و خصوصياته، تبلور النواة البروليتارية، بارتباط مع تبلور الخط البروليتاري، الذي يجسد القيادة الفعلية للطبقة العاملة، لباقي طبقات و فئات الشعب، فهل هذه العناصر تتوفر في الحلم و لو بشكل جيني؟

أ. إن الحركة الماركسية اللينينية لا يمكن لها أن تكون إلا نتاجاً للصراع الطبقي ببلادنا. و لقد برزت هذه الحركة في ظل شروط طبقية محددة، و ذلك وطنياً و قومياً و عالمياً: و بدون الغوص في تحليل معمق لنشأة هذه الحركة، لا بد من تسجيل ميزتين:

- إن نظرة عامة على تطور الأوضاع بعد 65، تبرز النهج الذي سارت عليه الطبقة أو الطبقات السائدة بالمغرب، و الذي لم يترك هامشاً للنشاط السياسي للأحزاب التقليدية داخل بنية النظام. و فرض عليها أن تقف في صف المعارضة، من خارج هذه البنية، مما وفر الشروط للكشف عن عقم خطها الإصلاحية، و أدى إلى تقليص مواقع التأثير السياسي و الأيديولوجي من طرف هذه القوى على الجماهير الشعبية.

- إن مرحلة ما بعد 67، جسدت انطلاقة حركة جماهيرية نضالية، تميزت باستقلالية نسبية، عن تأطير القوى السياسية و النقابية التقليدية، و تركزت أساساً في نضالات الطبقة العاملة المنجمية، و انتفاضات فلاحية في بعض المناطق التي تعرف همجية المعمرين الجدد¹⁷.

إن هتين الميزتين، بالإضافة إلى عناصر أخرى (مرتبطة بالصراع الطبقي و مستوى تطوره الموضوعي و بتأثير التطورات الحاصلة على مستوى القوى الثورية بالوطن العربي، و على المستوى العالمي...) دفعت بالصراع السياسي و الأيديولوجي في صفوف البرجوازية الصغيرة إلى التقدم، و انعكس هذا داخل الأحزاب البرجوازية الصغيرة، و خاصة في بعض المواقع الديناميكية، كالمثقفين و الشبيبة المدرسية، و لقد تفاوتت الاختيارات بين العديد من الاتجاهات داخل هذه الأحزاب، و

في بناء تلك النواة تحقيق الارتباط العضوي بين المثقفين الثوريين و الطلائع البروليتارية، و لا تحتل الأطروحة اللينينية ذلك في العمال فقط، لأنها ترفض النظرية العنوية الميكانيكية، التي ترى أن الوعي الثوري للعمال ينبع مباشرة من واقعهم الاقتصادي، هذه النظرة الاقتصادية حارها لينين بشدة، لأنها تؤدي إلى رفض التنظيم الثوري للطبقة العاملة.

16. (انظر الهامش 15).

17. المعمرين الجدد: المقصود به، الملاكون العقاريون الرأسماليون الذين استولوا على الأراضي الزراعية في المناطق الخصبية، فأخذوا مكان المعمرين القدامى، و ذلك بعد الاستقلال الشكلي.

من بين الإختيارات التي أفرزت في هذه المرحلة، كانت الحملم، و تجلّى هذا في انسلاخ عدد من العناصر الشابة من المثقفين أو الشبيبة المدرسية عن هذه القوى، و التحامها في ظل توجه فكري و سياسي مستقل، تشكلت أرضية الالتقاء النضالية بالنسبة لأفراده داخل الشبيبة المدرسية، و أساسا في أوساط الحركة الطلابية. و لقد انصهرت القاعدة السياسية الإيديولوجية للحملم، في ظل حركة فكرية تميزت بتبنيها للفظ الماركسية اللينينية، و نقد الأحزاب الاصلاحية و "التحريفية"¹⁸ بالبلاد.

ب- أما على مستوى المواقف السياسية، فلقد تميزت نشأة الحملم بطرحها لموقف جذري واضح من النظام القائم، و تشديدها على القضية الفلسطينية.

هكذا، فإن الحركة لا تعدو كونها حركة سياسية ثورية، برزت كنتاج للصراع السياسي و الايديولوجي في ميدان طبقي معين، هو ميدان البرجوازية الصغيرة، و تحت تأثيرها، و لاحتداد الصراع الطبقي عموما بالبلاد، و لا علاقة للبروليتاريا بوجود هذه الحركة إذا إستثنينا عنصريهما:

- التأثير الخارجي للرصيد الفكري السياسي و الايديولوجي لتجربة البروليتاريا العالمية، و الحركة الشيوعية الأممية على المثقفين و الشباب عموما، و الذي تجلّى بالنسبة للحملم في تبنيها للماركسية اللينينية، و بعض الانتقادات الجزئية و المتفرقة الشائعة حينذاك حول "التحريفية".

- التأثير الخارجي للحركة النضالية للطبقة العاملة المغربية على البرجوازية الصغيرة في تلك الفترة¹⁹.
لقد أبرزت التجربة الملموسة للحملم، و على مدى أكثر من 10 سنوات من عمرها تقريبا، أن السيروورة التي عرفت هذه الحركة، لم تكن سيروورة الاندماج بالبروليتاريا و طلائعها، بل على العكس من ذلك، عرفت هذه الحركة سيروورة عزلة متصاعدة، ليس إزاء البروليتاريا فحسب، و إنما أيضا عن قاعدتها الاجتماعية (التي أفرزتها الشبيبة المدرسية)²⁰، و هي اليوم أبعد ما تكون عما كانت عليه حين نشأتها، عن أن تشكل نواة للبروليتاريا(حزبها)، كما أن التجربة، تبرز، أن التطور السياسي و الايديولوجي للحملم، لم يعمل على ضرب القاعدة الطبقية، التي إنطلقت منها هذه الحركة، و إنما عززها، و ذلك ببلورة تصورات شمولية، تؤدي جميعا إلى مشاريع ثورية برجوازية صغيرة. إن منوعات البرامج التي تقدمها الحملم، من

18. يضع الكاتب مصطلح التحريفية بين مزدوجتين، مما يعني تشكيكه في وجودها.

19. فيما يخص التأثير الخارجي للحركة النضالية للطبقة العاملة على البرجوازية الصغيرة، و هي هنا الحركة الطلابية، ينسى الكاتب أن الحركة الطلابية قد عرفت تحولا بنيويا، بعد وصول الآلاف من أبناء الكادحين ابتداء من 1968، و لهذا معناه الكبير.

20. يتكلم الكاتب عن العزلة عن البروليتاريا و حتى عن الشبيبة المدرسية، بالنسبة لعشر سنوات من تاريخ الحملم، و هذا بجانب للحقيقة.

نظرية الثورة في الغرب العربي، الى المجلس التأسيسي... الخ، و التنظيرات المحيطة بهذه المنوعات، في غياب أي تحليل علمي لواقع الصراع الطبقي، و مصالح البروليتاريا المغربية، و بارتباط عضوي مع هذه الطبقة و حركتها النضالية الملموسة، كل هذا يشكل دليلا آخر على الطبيعة الطبقيّة لهذه الحركة، و هكذا لا نستطيع اليوم اعتبار الحلم مجرد مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار الثوريين، يسعون للارتباط بالحركة العمالية و المساهمة في بناء حزب البروليتاريا، ذلك أن الحركة منذ نشأتها الى اليوم، تعززت كتنظيمات قائمة بذاتها، خطأ و ممارسة، تسعى لبسط هيمنتها السياسية و الايديولوجية على الطبقة العاملة، و باقي الجماهير، على الاقل على مستوى مشاريعها الثورية²¹.

II. هل تلخص مهمة بناء الحزب في عملية بناء منظمة المحترفين الثوريين و لو مرحليا ؟

إن مفهوم الحزب هو أشمل بكثير من المنظور التراكمي الكمي الذي إعتدته الحلم، و حين طرح لينين مسألة منظمة المحترفين الثوريين في سنة 1902، كانت البروليتاريا الروسية قد قطعت أشواط كثيرة في عملية تأطير نفسها، سياسيا و إيديولوجيا و تنظيميا²²، و كان المستوى الملموس الذي بلغه نضالها يتطلب الارتقاء إلى مرحلة عليا²³. فلقد كانت الحلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية منتشرة عبر أنحاء البلاد، داخل أوساط الحركة العمالية، و كان لهذه الحلقات عملها الدعائي و التحريضي و التنظيمي و جاء طرح لينين لمنظمة المحترفين الثوريين اعتبارا:

- كون الاحتراف الثوري أصبح ضرورة ملموسة، و ملحّة بالنسبة للمناضلين الثوريين، حتى يتمكنوا من إنجاز المهام الملموسة للنضال الثوري في روسيا حينذاك و كان الإخلال بالاحتراف، معناه الإخلال بهذه المهام، التي لم تكن نهايا تصورات قبلية جاهزة لعملية الثورة²⁴.

- و لكون الضرورة النضالية بدأت تفرض تنظيما مركزيا محكما، من أجل توحيد نضال البروليتاريا الروسية، و تعميم التجارب المختلفة و المتباينة، و تطور الوعي السياسي و الإيديولوجي، و هذا نقيضا لواقع الشتات في صفوف الحركة

21. ادعاء بدون برهنة.

22. يتحدث الكاتب عن تأطير الطبقة العاملة الروسية لنفسها سياسيا، إيديولوجيا و تنظيميا، كما لو أن هذا جاء عفويا، و هذا بجانب للحقيقة التاريخية، رغم أن الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية، قد كانت تعاني من عدة انحرافات، يكرسها التشرذم و التشتت الذي كانت تعاني منهما.

23. هناك نوع من الخلط بين مستوى الحركة العمالية الروسية، و ظهور الأفكار اللينينية حول التنظيم، و هذا الخلط يوحي بقراءة ميكانيكية و استنساخية للتجربة الروسية، دون الأخذ بدروسها المعممة، التي استخلصتها اللينينية.

24. يظهر أن صاحب المقال لم يكن يفهم مغزى المفهوم اللينيني للتنظيم، كتصور عام يخدم الثورة، و لم يكن فقط نتاج ظروف خاصة روسية، مما أسقطه في فهم ضيق لهذا الإسهام، الذي سيصبح فيما بعد، أحد الحقائق العامة للفكر الماركسي - اللينيني.

العمالية الروسية، و تجاوزا لتأثيرات الإنحرفين الاقتصادي و العفوي، و هكذا فإن لينين لم يكن يتصور بناء منظمة للمحترفين الثوريين على طريق بناء الحزب، و إنما كان يرى بناء منظمة للمحترفين الثوريين كإحدى مكونات الحزب البروليتاري، دون الفصل فيما بين هذه المكونات بأية مرحلة²⁵.

و لقد كانت الشروط التاريخية في روسيا متوفرة لتأسيس مثل هذا الحزب بجميع مكوناته. كما أن لينين حين يطرح مهمة بناء منظمة من المحترفين الثوريين، فإنه لا يترحمها على عاتق مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار، و إنما يترحمها على المناضلين الثوريين في صفوف الحركة العمالية، مهما كانت أصولهم الطبقية، و لكن على قاعدة الارتباط العضوي و الفعلي بالحركة العمالية، في ظل مسيرة ثورية أدت إلى أن يصبحوا أبناء للطبقة العاملة، يدافعون بالملمس عن مصالحها القريبة و البعيدة، لهذا فإن اختزال الحركة الماركسية اللينينية، و على الخصوص منظمة الى الأمام، لمسألة الحزب، في بناء منظمة للمحترفين الثوريين، هو إختزال يقوم على نفي واقع التجربة اللينينية و تشويهها، و هذا الانحرف القائم ليس بخطأ شكلي، و إنما انحرف يعكس تصورا نخبويا، يؤدي إلى فهم معضلة الحزب باعتبارها معضلة أطر متمرسه فقط تستطيع قيادة الجماهير²⁶.

إنه طريق السقوط في البلانكية و نزعة التآمر عبر طريق متعرج. إننا نعتبر أن حزب البروليتاريا ليس بحزب نخبوي، لكنه حزب جماهيري ثوري، يجسد الاستقلال السياسي و الايديولوجي و التنظيمي للطبقة العاملة، بقيادة طليعتها الواعية و المنظمة، كما أننا نعتبر أن الحزب البروليتاري لا يشكل هرما تنظيميا يبنى على مراحل، من القمة الى القاعدة، لكنه مجموعة من التنظيمات تمر من الاشكال الأكثر جماهيرية، إلى الأكثر سرية، و تتبلور ضمن نفس المسيرة الواحدة، و تجسد تطور و

25. انظر تقرير 20 نونبر+ النظام الداخلي + لبن الحزب تحت نيران العدو+ من أجل خط ماركسي- لينيني لحزب البروليتاريا المغربي). إن الطرح اللينيني يجعل من منظمة المحترفين الثوريين النواة الأساسية لحزب البروليتاريا، و ليس فقط مكونا إلى جانب مكونات أخرى داخل الحزب، و يظهر أن الكاتب لم يدرك جوهر الصراع داخل المؤتمر الثاني داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي: انظر كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتنا إلى الوراء" لينين.

26. إن الحلم و إلى الأمام، ما كان لها بعد 70 سنة من صدور كراسة "ما العمل" و قبلها مقالة "بما نبدأ" و "رسالة إلى رفيق" أن تعيد التجربة الروسية لما قبل صدور التصورات اللينينية للتنظيم، ذلك لأن تلك التصورات تعالج مكامن الخلل في التجربة الروسية، فهل كان على الحلم أن تمر بالضرورة، بنفس التجربة، و هذا لعمرى قمة الإفلاس النظري، و يعكس إلى حد ما حلم صاحبه حول حل المنظمات الماركسية اللينينية، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة، للتطهر من الخطيئة الأصلية البرجوازية الصغيرة، علما أن الطرح الماركسي، كما بلوره كاوتسكي حين كان ثوريا و أخذ به لينين، يقوم على التفريق بين النضال الطبقي الإقتصادي و الموضوعي للطبقة العاملة، و تطور وعيها السياسي الطبقي الثوري، ليس في إطار علاقة ميكانيكية بينهما، بل في علاقة جدلية.

تقدم نضال البروليتاريا ضد أعدائها، و هكذا فإن الحزب نتاج ذاتي و موضوعي لصراع البروليتاريا، إذا كان يشكل أداة تنظيمية ثورية، فهو قبل كل شيء مضمون سياسي و إيديولوجي طبقي، لا يمكن لأية فئة إجتماعية أو طبقة أخرى غير البروليتاريا أن تبلوره مكانها²⁷.

و هكذا أيضا نرى أن مهمة بناء الحزب بما فيها مهمة بناء منظمة المحترفين الثوريين، ملقاة على عاتق الطبقة العاملة، و ينحصر دور الثوريين الراغبين في المساهمة فيها، الاندماج بحركية الطبقة العاملة المغربية في ظل مسيرة نضالية ملموسة، ينجز فيها هؤلاء الثوريون المهمات الأولية و العملية في صفوف الحركة العمالية، حتى يصبحوا مناضلين شيوعيين حقا، و أبناء مخلصين للطبقة العاملة، هذه المهام التي تكمن أساسا في المساهمة في التأطير و الرفع من مستوى الوعي السياسي الطبقي الثوري²⁸.

III. حول المقدمة التكتيكية

لقد تبلور بعد 72 تصور يربط مهمة الحزب بالمقدمة التكتيكية، التي تشكلها الشبيبة المدرسية بالنسبة للجماهير، و ذلك بناء على الاعتبارات التالية:

إن الشبيبة المدرسية تشكل القطاع الجماهيري الذي يخوض نضالات ذات طابع سياسي مكشوف، ستبلور من خلاله عناصر مناضلة ثورية تتبنى الماركسية اللينينية، و تستطيع لعب دورها داخل الجماهير الشعبية الكادحة، كأطر ثورية بروليتارية.

إن الشبيبة المدرسية لها مميزات خاصة ببلادنا، فإذا كانت الحركة في ظل ظرف محدود زمنيا قوة سياسية لها إستقلاليتها النسبية عن باقي القوى السياسية في المجتمع، إلا أنه من اللازم أيضا تسجيل أن حركة الشبيبة المدرسية، ستظل دوما كما كانت كذلك تاريخيا، حتى في بلادنا، حركة ديمقراطية في خطها العام، ذات طبيعة طبقية برجوازية صغيرة، مع بعض المميزات الخاصة الناتجة عن واقعها كفئة إجتماعية لها موقع محدد في عملية الانتاج، على مستوى المجتمع. و هذا ينفي إمكانية بروز أطر بروليتارية أو نواة للمحترفين الثوريين من صفوفها، بالمضمون الماركسي اللينيني، فحركة الشبيبة المدرسية،

27. مرة أخرى يكشف الكاتب عن عدم فهمه لنظرية التنظيم اللينينية، و ينم تصوره عن خط عفوي، عندما يعتقد أن الطبقة العاملة وحدها تستطيع أن تبني حزبا ثوري، الشئ الذي لم تثبته أي تجربة تاريخية على الإطلاق.

28. إن الكاتب يعتقد بإمكانية بلورة الوعي السياسي الطبقي، الذي سيؤطر به المثقفون الذاهبون إلى الطبقة العاملة، هاته الأخيرة، و ذلك خارج أي تنظيم، و هذا قمة العفوية و النزعة العمالية، و لعق لمؤخرة الطبقة العاملة كما يقول لينين، أي أنهم يصبحون ذيلين لها، بدل المساهمة في رفع مستواها السياسي و الإيديولوجي، عبر أهم سلاح، ألا و هو سلاح التنظيم الثوري.

يمكنها أن تفرز مناظلين برجوازيين صغار ثوريين، من خلال حركتها الخاصة، و يمكن لهذه الأطر أن تتبنى الماركسية اللينينية كفكر، إلا أن الأطر البروليتارية، و منظمة المحترفين الثوريين، لا يمكنهم التبلور إلا من خلال مسيرة عسيرة، لنضال البروليتاريا نفسها، و هذه مرحلة لا يمكن القفز عليها بأية وصفات سريعة مهما كانت ممنطقة²⁹.

و إذا كان الطابع السياسي المكشوف، لشعارات الشبيبة المدرسية، قد ظل يميزها عن باقي القطاعات الجماهيرية العاجزة عن ذلك، فإن تسجيلها كحقيقة و كميزة من مميزات الصراع الطبقي ببلادنا، يلقي على عاتق الشيوعيين المغاربة أعباء جسيمة، من أجل فتح الطريق الثوري أمام الطبقة العاملة و طليعتها الثورية، في النضال السياسي، و هذا يعني الإندماج المباشر بالنسبة لمجموع المثقفين الثوريين، المتبنين للماركسية اللينينية بالحركة العمالية و طلائعها المناضلة، من أجل تطوير كفاحيتها و وعيها السياسي، و المساهمة في بناء حزب البروليتاريا. و يبقى في الأخير أن خزان الأطر البروليتارية هي الطبقة العاملة نفسها³⁰.

ج. الحركات الماركسية اللينينية داخل الشبيبة المدرسية كظاهرة حديثة.

إن وجود حركات سياسية تتبنى الماركسية اللينينية داخل حركات الشبيبة المدرسية، هي ميزة تكاد تكون عامة، سواء في

29. إن وضع سور صيني بين سيرورة انبثاق أطر ثورية ماركسية لينينية، من داخل الشبيبة المدرسية، و ليس الشبيبة المدرسية في حد ذاتها، و بين سيرورة تبلور الأطر البروليتارية كأتوية ثورية للطبقة العاملة، ينم عن نزعة ميكانيكية غير جدلية، ثم إن هذا يعني خلطا مميذا بين النواة الثورية للبروليتاريا، و بين منظمة المحترفين كنواة ثورية لحزب البروليتاريا الماركسي اللينيني، حيث يتساوى العامل و المثقف على قاعدة الانتماء إلى إيديولوجية الماركسية اللينينية الشيوعية و الممارسة الثورية، فالمثقف الثوري و العامل الثوري الطليعي قد أصبحا معا شيوعيان، فعلى هذا الأساس طالب لينين، بتهيئ الشروط للعمال الثوريين، للقيام بمهامهم عبر تهيئ شروط احترافهم الثوري، و هذا لا يكون إلا بفصلهم عن ظروف العمل المضنية.

30. إن سيرورة بناء حزب الطبقة العاملة الثوري، مرتبطة جدليا بسيرورة بناء الوعي السياسي الطبقي الثوري لدى الطبقة العاملة، و هذا لا يمكنه أن يتحقق إلا بالتوجه إلى كل طبقات الشعب، و عدم الاكتفاء بالإجابة عن سؤال ما العمل؟ بالدعوة إلى الذهاب إلى الطبقة العاملة فقط، و هو الأمر الذي حاربه لينين، و اختلفت حوله منظمة "إلى الأمام" و منظمة "23 مارس" في أبريل 1973، إن إشكالية الوعي الطبقي السياسي، لا يمكن فصلها عن مجموع الصراعات الطبقيية في بلد ما، و تركيز وعي الطبقة العاملة على ذاتها، إنما هو النزعة الاقتصادية بامتياز، فالإكتفاء بعلاقة العامل برب المعمل لا تبلور وعيا طبقييا سياسيا، و إنما وعيا اقتصادويا و عفويا و نقابيا ضيقا، أو تراديونيا، و هذا ما لم يفهمه التصفويون و دعاة إعادة البناء، فكلاهما اختزل الموضوع في الذهاب إلى الطبقة العاملة، و إن اختلفوا في الطريقة، فالأولون دعوا إلى حل المنظمات و الذهاب فرادى، و الآخرون دعوا إلى إعادة البناء (في وعاء مغلق) و الذهاب إلى الطبقة العاملة، فلامهم حافظوا على مواقعهم داخل الشبيبة المدرسية، و لا هم تجذروا داخل الطبقة العاملة، فجاءتهم الرياح من حيث لا تشتهي السفن في خريف 1985، و تحول الأولون فيما بعد إلى مجرد ديمقراطيين ليبراليين من أنصار الثورة البورجوازية الفرنسية بالنسبة لبعضهم، و إصلاحيين بالنسبة للبعض الآخر الذي التحق بالإتحاد الإشتراكي أو بالعمل المدني، أو تخلى عن العمل النضالي.

ما يسمى بالعالم الثالث، أو حتى في بعض البلدان الامبريالية، و في الوقت الذي يتميز فيه وضع الحركة العمالية بانحسار في موقعها، على مستوى الصراع السياسي كقوة طبقية مستقلة، رغم الأزمة العامة التي تشمل النظام الرأسمالي العالمي، و التي تنعكس على أوضاع الطبقة العاملة بشكل حاد.

إلا أن هذه الحركات الماركسية اللينينية في صفوف الشبيبة المدرسية، التي برزت في الستينيات و على مدى أكثر من 15 سنة مضت، لم تحصد في تجربتها سوى الفشالات الذريعة، التي تزيد منها أزمة الحركة الشيوعية العالمية، و الغموض السياسي و الإيديولوجي القائم فيها. لقد افتقدت كافة الأحزاب الشيوعية لتوجيه بروليتاري، و تحولت الى أدوات في أيدي فئات طبقية لا علاقة لها بالطبقة العاملة، و ذلك في غالبية بلدان العالم، و تحث أفئدة مختلفة في المظهر، متماثلة في المضمون، و سواء على مستوى تلك القوى، التي تمكنت من الإستيلاء على السلطة أو تلك التي لم تتمكن من ذلك، (الصين، الفيتنام، الاتحاد السوفياتي، ألبانيا... ثم أحزاب الأمية الثالثة في أوروبا)، و يمكننا القول اليوم، بأنه كما جسدت سنة 1914 و ما بعدها، مرحلة إفلاس بالنسبة للأمية الثانية و الثانية و النصف، في ظل تحولات طبقية جوهرية طرأت على البنية الاجتماعية السياسية و الإيديولوجية للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية، بارتباط مع التحولات التي حصلت في صفوف الطبقة العاملة و الحركة العمالية، و في علاقة مع التطور الذي عرفه النظام الرأسمالي العالمي نحو الامبريالية، فإن المرحلة الحالية تشكل نهاية فترة تاريخية طويلة من حياة الحركة الشيوعية العالمية، تبقى في ظلها المبادئ الأساسية للماركسية سديدة و حية، إلا أن الماركسية اللينينية تحتاج بشكل ملح، الى قفزة نوعية تعصف بالعديد من القوالب الجامدة، و التصورات السياسية و الإيديولوجية، التي تبلورت في المرحلة التاريخية الماضية، و التي أصبحت اليوم عائقا في وجه تطور آفاق الثورة البروليتارية³¹.

و لا يمكن اعتبار الحركات السياسية القائمة خارج الحركة العمالية، و التي استحوذت على رصيد الطبقة العاملة الفكري و النضالي، إلا إحدى منوعات الثوروية البرجوازية الصغيرة le révolutionnisme petit bourgeois أفرزها واقع أزمة الحركة الشيوعية العالمية و الحركة العمالية، و تلقى لنفسها مرتعا في ظروف الأزمة، بينما هي بعيدة كل البعد على أن تكون بديلا ثوريا.

د: و لكن هل يمكن أن تشكل الشبيبة المدرسية قنطرة عبور للفكر الثوري الماركسي اللينيني الى الطبقة

31. هنا يلتحق الكاتب بكوكبة دعاة التخلي عن اللينينية و الاكتفاء بالماركسية، دون أن يكلف نفسه عناء إعطاء الحثيات، اللهم الإكتفاء بالعموميات.

العاملة و الجماهير الشعبية؟

لقد انطلقت منظمة إلى الامام من تصور، أن الوعي لا تمتلكه الطبقة العاملة من خلال العلاقات الضيقة بينها و بين مستغليها المباشرين، و إنما تمتلكه إنطلاقا من العلاقات الاجتماعية الواسعة التي تربط هذه الطبقة بمختلف الطبقات الأخرى.

إن هذا الطرح في عمومته رغم كونه طرحا سديدا، لايعطينا إمكانية الإجابة بوضوح عن دور المثقفين في بلورة الوعي الطبقي لدى البروليتاريا، لكنه يعمل على تعويم هذه المسألة ليصل في النهاية إلى بلورة تصورات خاطئة، حول علاقة الشبيبة المدرسية بالطبقة العاملة و مجموع الجماهير الشعبية. إن العلاقات بين مختلف الطبقات في المجتمع، علاقات معقدة و متشابكة لها أشكال مباشرة أو غير مباشرة. و المثقفون هم كما كانوا تاريخيا و لايزالون، يشكلون ناقلة لمختلف الايديولوجيات *véhicule*، و بالتالي فإن قيام العديد منهم بإيصال الفكر الثوري الماركسي اللينيني للجماهير الشعبية و الطبقة العاملة، مسألة حتمية بوعي من هؤلاء أو غير وعي من طرفهم، و لهذا تكتسي الدعاية للفكر الماركسي اللينيني في صفوف المثقفين، و تعزيز موقع هذا الفكر على مستوى الواجهة الثقافية، بخلق حركة فكرية داخل المثقفين تسعى لهذا الهدف، كل هذا يكتسي أهمية لا بد من الإشارة إليها، لكن موقع المثقف الثوري الماركسي اللينيني هو موقع آخر بالأساس، ذلك أن تحديده كمثقف ثوري، لا ينبع إلا من خلال ارتباطه الفعلي بالجماهير الكادحة و حركيتها النضالية، و هو يلعب حقا دور القنطرة بين مجموعة من المعارف (الماركسية اللينينية، تجارب البروليتاريا و الشعوب... الخ) و بين الطبقة العاملة، من خلال عملية الاندماج، و يمكن لهذا المثقف أن يكون برجوازيا صغيرا من زاوية أصله الطبقي، كما يمكن أن يكون مثقفا عاملا أيضا. و لا يشكل ما يأتيه هؤلاء المثقفون الثوريون من معارف للطبقة العاملة، إلا عنصرا من عناصر أخرى متعددة (تجربة الطبقة العاملة الملموسة، الصراع السياسي و الايديولوجي بين مختلف التوجهات الطبقية في صفوف الطبقة العاملة...) و هذا كله في ظل تمازج ضمن الحركة النضالية، تتم من خلاله عملية فرز الأنوية البروليتارية، و تبلور الخط الثوري البروليتاري داخل الحركة العمالية. إن مساهمة المثقف الثوري لا تجعل منه أتوماتيكيا عنصرا بروليتاريا، بل يمكن ألا يستطيع هذا المثقف تجاوز التصورات التي أتى بها للطبقة العاملة، و بالتالي يبقى حتى في صفوف الحركة العمالية عنصرا طبقيا غريبا عن الطموحات البروليتارية، بينما يمكن له أيضا أن يعرف سيرورة الإنصهار، الذي تجعل منه حقا إطارا للبروليتاريا في نضالها الثوري.

و من هنا نخلص، إلى أن دور المثقفين الثوريين البرجوازيين الصغار المغاربة يبدأ بعملية الاندماج الفعلي بالحركة العمالية و الطبقة العاملة. و في هذا تكمن مساهمتهم في عملية بناء حزب البروليتاريا الثوري المغربي، الشيء الذي حادت عنه منذ إنطلاقها الحلم، و ذلك لاعتبارات ذاتية و موضوعية³².

هـ - لماذا تبنت الحلم طرح المقدمة التكتيكية؟

إن طرح المقدمة التكتيكية هو انحراف عن مبادئ الماركسية، باعتبار أنه يعوض مرحليا بالنسبة لمهمات الماركسيين اللينينيين المغاربة، عن طليعية الطبقة العاملة بتنظيم طليعية فئة اجتماعية و طبقية أخرى غيرها، و لكن لا يكفينا اليوم نقد مجموعة الأطروحات الخاطئة التي اتحدت موقعا خاصا في تجربة الحلم، بل يجب كذلك البحث عن جذورها الطبقية من جهة، و عن الشروط الطبقية التي أنتجت هذه الأطروحات في ديناميتها و تفاعلاتها من جهة أخرى. و لقد حددنا في البداية بعض المعالم حول الجذور الطبقية التي أفرزتها الحلم، و لقد تفاعلت هذه الحركة مع شروط طبقية، سنحاول الإشارة إليها باعتبارها خطوطا عامة جدا من الواجب التعمق فيها لاحقا.

لقد عرفت الحلم في المرحلة ما بين 70-72، تجربة سياسية تجلّى فيها فشل محاولاتها القليلة في النفاذ إلى مواقع الجماهير الثورية الأساسية، خاصة و أن المد الذي عرفته الحركة الجماهيرية منذ مطلع 68، كان كاف قد بدأ في الانحسار التدريجي، و نظرا أيضا للتخلف الذي عبرت عنه الحلم، التي لم تكن ملائمة للنشاط خارج المثقفين و الشبيبة المدرسية، و هذا في الوقت الذي كان تأثير الحلم داخل الشبيبة المدرسية يتعاضد، و يمتد من صفوف الحركة الطلابية إلى صفوف حركة التلاميذ بشكل واسع، و بارتباط مع تنامي المد النضالي لحركة الشبيبة المدرسية، هكذا برزت أطروحة المقدمة التكتيكية بجدّة في سنة 70، نظرا لعدة اعتبارات منها:

- واقع تقبل الشبيبة المدرسية لأطروحة الحلم، و الانتشار السريع لأفكارها في صفوف هذه الشبيبة، و العزلة القائمة على مستوى الارتباط بمواقع الجماهير الأساسية.

- و لكون حركة الشبيبة المدرسية في مدها كانت ترفع فعلا شعارات سياسية مكشوفة الطابع، على عكس مواقع الحركة

32. إن الغريزة الطبقية لدى المثقف الثوري، تمثل حقا عائقا أمام تحوله إلى مناضل بروليتاري، كما يحتاج العامل إلى الفكر الثوري (العلم الثوري) لتجاوز مستوى وعيه الحسي أو الغريزي، إن احتياج العامل إلى المثقف الثوري ضرورة، تحتمها قسمة العمل الاجتماعي في المجتمع الطبقي، و إن احتياج المثقف الثوري إلى العامل ضرورة كذلك لتجاوز هذه القسمة، و خاصة تقسيم العمل بين يدوي و فكري، و ذلك بالانخراط في سيرورة التبلتر، لكن و في كل الأحوال، لا يشكل واقع المثقف الثوري، من حيث غريزته الطبقية، لعنة أبدية لا يمكن تجاوزها، لكن هذا التجاوز، خلافا للمنظور العفوي، لصاحب المقال، لا يتم إلا ب و عبر الانتماء إلى المنظمة الثورية الشيوعية، التي تتبنى خطأ ثوريا شيوعيا.

الجماهيرية الاخرى.

- و لقد كان برنامج الحملم العام يكتنفه الغموض، و هكذا أصبحت الشبيبة المدرسية بالنسبة لبعض الاتجاهات، أداة لتفجير الثورة المغربية، انطلاقا من إعتبرها " رأس الرمح " الذي سيدفع بالحركة الجماهيرية إلى مستوى الانتفاضة الفاشلة، على نمط ثورة 1905 الروسية، تسمح بالارتباط بالجماهير من طرف الحركة، في ظل عملية سريعة، نتيجة للظروف التي ستخلقها هذه الانتفاضة بمساهمة الحملم.

- و لقد لعب تأثير انتفاضة البيضاء في 65، دورا كبيرا في هذا الطرح، خاصة و أن التقييم الذي كان لدى الحملم لهذه الانتفاضة، يعتبر بالضبط أن الشبيبة المدرسية لعبت دور المفجر لها، و انطلقت الجماهير كافة حولها في هذه الانتفاضة، الشيء الذي يفتقد للنظرة الموضوعية، إذ أن الطبقة العاملة المغربية لم تساهم في 65 إلا بشكل ثانوي.

و لقد تم التخلي في 72 عن أطروحة الانتفاضة الفاشلة، و لكن دون أن تنسف الأسس التي أدت إليها، و كان هذا التخلي ناتجا عن تطورات الصراع الطبقي، و بالنسبة لحركة الشبيبة المدرسية نفسها، التي بدأت بدورها مسيرة الانحسار عن مدها النضالي، و ذلك مع بداية ترتيب الأوضاع الذي دخل فيه النظام بعد الهزات العنيفة التي عرفها ما بين 70_72، ثم تحت تأثير أيضا الإعتقالات الواسعة التي عرفتها الحملم في 72.

و هكذا بدأت تبلور المفاهيم التي تطرقنا لها في هذا النص حول الشبيبة المدرسية، و علاقتها بالحزب و الجماهير، إنطلاقا من عملية نقد سطحية، تفترضها التطورات، و كتبرير إيديولوجي لاستمرارية الحملم في صفوف حركة الشبيبة المدرسية، و علينا اليوم أن نسجل أن كافة اتجاهات الحملم قد تخلت نظريا عن أطروحة الشبيبة المدرسية، دون إعطاء أي تحليل لذلك، له طابع تقييمي نقدي للتجربة السابقة. كما أن هذا التخلي يتوافق مع واقع التواجد العملي الوحيد للحملم، في الشبيبة المدرسية و المثقفين، مما يؤكد طبيعة هذا التخلي اللفظي³³.

IV. حول مسألة الوحدة

إن الحملم تنظر إلى الوحدة بين فصائلها المختلفة، باعتبارها خطوة على طريق بناء حزب البروليتاريا المغربي، و لقد كانت الوحدة، و قبل 72، رغبة حارة و عامة، لعبت فيها شروط مد الحركة الجماهيرية، و أساسا الشبيبة المدرسية دورا

33. لا يمكن القيام بتقييم خارج مجموعة من العناصر منها: معرفة المواقف بدقة، ثم وضعها في سياقها التاريخي، و قد سقط الكاتب في خلط بين فترة 70 - 72 و الفترة التالية لها، و قد عرفت مثلا فترة 72 - 74 أوج عمل المنظمة مع الطبقة العاملة، بل بداية تغلغل وسط الفلاحين، و من المعروف كذلك، أن الحركة التلاميذية، قد عرفت من 1972 إلى 1974، نضالات مستمرة، بقيادة النقابة الوطنية للتلاميذ، لكن هذه النضالات المنظمة، كانت منظمة و مؤطرة، بخلاف الفترة الأولى حيث كان طابع العفوية هو الغالب....

كبيراً، خاصة بالنسبة لمنظمة "إلى الأمام"، التي كانت ترى أن تبني الماركسية اللينينية هو قاسم مشترك كافي للتوحيد، و انطلاقاً من أن جميع الماركسيين اللينينيين يسعون لبناء حزب البروليتاريا، و التي سيتم التوصل إليه بسرعة أكثر و عمل أفضل، إذا ما تضافرت جهود الحركة الماركسية اللينينية في منظمة موحدة، إلا أن الفترة مابعد 1972، التي شكلت بداية الانحسار في هذا المد للحركة الشيوعية المدرسية، فحرت في صفوف الحلمم خلافات بارزة و مباشرة حول عدة قضايا، كالسرية و الإحتراف و الحزب و الجبهة.... إلخ، و في هذه المرحلة تبلور طرح لدى منظمة "إلى الأمام" حول مسألة الوحدة، يرى ضرورة قيامها على قاعدة خط سياسي سديد و موحد، مع بقاء اعتبارها خطوة ضرورية على طريق بناء الحزب البروليتاري، الذي تمثل الحلمم نواته الأولى. فماهي منزلقات هذا الرأي الذي مازال قائماً لحد الساعة وسط اتجاهات الحلمم؟

أ - مسألة الوحدة في تجربة الحركة الشيوعية العالمية

سننظر هنا إلى انتقاء بعض النماذج من تجربة الحركة الشيوعية العالمية لإلقاء الأضواء على هذه المسألة، و هكذا فبالنسبة لماركس و إنجلز، طرحت هذه القضية حول علاقة مجموعة إيزناخ الاشتراكية الديمقراطية الألمانية (ليننخت) و بين مجموعة اللاساليين داخل الحركة العمالية الألمانية، و كانت مسألة التوحيد رغبة حارة لدى الحركة العمالية الألمانية، و هدفاً بالنسبة للاسال و مجموعته، من أجل إعادة لحزبه³⁴، بعد ما عرف إنحساراً كبيراً نتيجة النزعة السلطوية و الحلقية، التي كانت تتجلى في تعامله مع الحركة العمالية الألمانية، و كان الصراع حينذاك يدور حول برنامج الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (برنامج غوتا)، و لقد عبر كل من ماركس و إنجلز عن رفضهما لهذه الوحدة، التي تقوم على برنامج غير بروليتاري، و كانا يريان أن الوحدة بين هاتين المجموعتين، يجب أن تشكل خطوة متقدمة في نضال البروليتاريا، و لهذا من اللازم أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لذلك، و في إستحالة هذا، يمكن الاكتفاء باتفاقات عملية، تستهدف مواجهة العدو المشترك، بدل الغوص في صنع برامج غير مفيدة أو اتفاقات حدود دنيا تجسد تراجعاً على المستوى الذي وصلت إليه نضالات البروليتاريا، و الوضوح الذي امتلكته فيها على المستويين السياسي و الايديولوجي³⁵، أما بالنسبة للينين فلقد طرحت قضية وحدة الماركسيين اللينينيين (أو الإشتراكيين الديمقراطيين الروس) مرات متعددة، نذكر منها مرحلة 1902 مع ما العمل؟ (حيث كانت حركة الإشتراكيين الديمقراطيين الروس تعرف اتساعاً و تقدماً سريعاً في صفوف الطبقة العاملة الروسية، التي

34. الجملة غير مكتملة في النص الأصلي، و لعل الكاتب أراد أن يقول: من أجل عودة التوجه للحزب.

35. انظر كتاب "نقد برنامج غوتا" لكلل موكس.

بدأت العديد من شرائحها تنحاز للنضال البروليتاري، في الوقت الذي ينعدم فيه برنامج واضح للإشتراكية الديمقراطية الروسية، و تعرف هذه، تشتتا و تذبذبا كبيرا، جسده بروز عدد من الاتجاهات التي تنظر للعفوية و الاقتصادية لدى قادتها. و لقد كانت الوحدة بالنسبة للينين ضرورة لتقسيم النضال البروليتاري، ضدا على الاتجاهات الإنتهازية داخل الحركة الإشتراكية الديمقراطية العمالية الروسية، و خطوة متقدمة ملازمة لتأسيس حزب البروليتاريا الروسية.

و لقد طرحت المسألة، مسألة الوحدة من طرف لينين من جديد، بعد تأسيس الأمية الثالثة، و ذلك حين معالجة الإنشقاقات عن أحزاب الأمية الثانية، و لقد كان الموقف الذي اتخذته الأمية في مؤتمراتها الثلاث الأولى في هذه القضية (حيث ساهم لينين في صياغة المقررات)، يعتبر أن الاتجاهات الشيوعية المتواجدة في صفوف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، يجب أن تتحد على قاعدة توجيهات الأمية الثالثة، في جوانبها السياسية و الايديولوجية و التنظيمية من جهة، و أن تعمل على بناء الأحزاب الشيوعية في بلدانها على قاعدة عمل جماهيري واسع في صفوف الحركة العمالية، من طرف أنوية شيوعية داخل الحركة العمالية من جهة أخرى. و كانت الأمية الثالثة تناضل من أجل ألا تتحول العناصر الشيوعية المتواجدة في صفوف الطبقة العاملة، إلى مجموعات معزولة، و ألا تؤسس الأحزاب إلا على قاعدة جماهيرية واسعة في صفوف الحركة العمالية. أما التجربة الألبانية فهي تبين أن عملية توحيد الشيوعيين الألبان، و عملية تأسيس الحزب، كانتا في نفس الوقت. الشيوعيون الألبان تواجدوا داخل الحركة العمالية منذ سنة 1928، إلا أن الوحدة لم تتم إلا في سنة 1941، مع تأسيس الحزب. و كانت عملية التوحيد هذه حينذاك، رغبة تجسد إحدى ضرورات النضال المباشر الملموس في مواجهة الإحتلال الإيطالي النازي من جهة، كما أنها كانت نتيجة الصراع الطويل و الحاد بين مختلف الاتجاهات داخل الشيوعيين الألبان من جهة أخرى. و لقد تمت عملية التوحيد في ظل حركة قاعدية داخل المجموعات الألبانية تحت التوجيه السياسي للعناصر الطليعية المنتمية لمجموعة كورسي (انورخوجة)³⁶، و ضدا على مواقف القيادات التقليدية لهذه المجموعات.

ب - فماهي خلاصتنا من هذه التجربة ؟

لم تكن الوحدة بالنسبة للشيوعيين رغبة ذاتية، أو مبدءا مجردا، و إنما كانت تطرح في شروط تواجد اتجاهات ماركسية ثورية داخل الحركة العمالية، يشكل تواجدها خطوة متقدمة في نضال البروليتاريا.

و لقد توافرت في كل التجارب التي استعرضناها شروط ذاتية و موضوعية داخل الحركة العمالية، جعلت من عملية

36. كورسي: مدينة ألبانية، و أنور خوجة: أحد مؤسسي حزب "العمل" الألباني، و للمزيد من المعلومات انظر كتاب "تاريخ حزب العمل الألباني".

التوحيد ضرورة ملموسة (و ليست مبدءا مجردا أو نظريا) بالنسبة للأنوية البروليتارية الثورية، المتواجدة في صفوف مختلف الإتجاهات الماركسية داخل الحركة العمالية. هذه الأنوية التي لم تكن تتجسد بالضرورة في القيادة السياسية التقليدية لهذه الإتجاهات.

و إذا كانت الوحدة من خلال التجارب التي إستعرضناها ملازمة لتأسيس حزب البروليتاريا، و ليس خطوة على طريق بناءه، فإننا لن نغامر هنا باستخلاص قانون عام، لكننا نرى أن وحدة بين الماركسيين اللينينيين داخل الحركة العمالية، يجب أن تعمل على تقدم المسيرة الثورية للبروليتاريا بشكل ملموس، و لا تؤدي إلى تخلفها أو إجهاض في مسيرة تطور الوعي السياسي و الإيديولوجي للطبقة العاملة.

ج - فما هو موقع الحلم من وحدة الحركة الماركسية اللينينية طبقا لتجربة الحركة الشيوعية العالمية ؟

أولا: إن أحد الشروط الأساسية كما رأينا في مسألة الوحدة، هو التواجد في صفوف الحركة العمالية كإتجاهات عمالية ماركسية ثورية، و هذا الشرط مفقود في واقع الحلم تاريخيا و حاضرا، لهذا فإن توحيد هذه الحركة، لا يمكن أن يقود الى إنجاز خطوة البناء لحزب البروليتاريا، و إنما هو يدخل ضمن سيرورة أخرى، أي تلك التي تقود إلى تأسيس منظمة تضم مجموعة من الثوريين البرجوازيين الصغار يتبنون أفكارا ماركسية لينينية.

ثانيا: و لكن الحلم لم تقف عند حدود كونها تجمعاً للثوريين البرجوازيين الصغار المتبنين للفكر الماركسي اللينيني، بل كان لكل اتجاه من إتجاهاتها منذ البداية برنامج عام و تنظيم و أساليب عمل، و كذلك ممارسة سياسية في الواقع الطبقي القائم، و لم تكن الوحدة لتتم "إلا على قاعدة خط سياسي موحد و سديد"، و هذا يعني أن هذه الوحدة لن تكون إلا عملية تأطير و توظيف الطبقة العاملة في مسيرة ثورية برجوازية صغيرة³⁷.

د - لماذا لم تتم عملية التوحيد ؟

لقد عرفت الحلم منذ 1972، على الخصوص، مسيرة تشتت ما فتئت تتعمق باستمرار، فماهي أسباب هذه

الظاهرة؟

37. إن هذا الطرح يتسق مع أطروحات حل فصائل الحلم، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة، و هو طرح، بالإضافة إلى كونه عفوي و تصفوي، فهو لا يدرك جدلية الخط السياسي و الإيديولوجي و التنظيمي، بحيث لا يرى إلا عنصرا من عناصر تحديد لطبيعة تنظيم سياسي ماركسي لينيني، لأنه يكتفي فقط، بالاعتماد على القاعدة الطبقيّة للتنظيم، علما أن حزبا مثل الحزب العمال البريطاني، تشكل قاعدته من العمال، و مع ذلك فهو حزب بورجوازي، بناء على هذا، فالكاتب لا يرى الفصائل الماركسية اللينينية، إلا مجموعات يجب حلها، و إرسال أعضائها إلى الطبقة العاملة، و هذا قمة العفوية و التبسيطية و التجريبية

إن الإتجاهات الماركسية اللينينية المغربية المختلفة، توعزها إلى المسألة التنظيمية أو القمع أو الإنتهازية اليسارية أو اليمينية أو العدمية الوطنية... إلخ، من التبريرات التي لا تشكل في نظرنا إلا عملية تغميض للأسباب الأساسية التي حالت دون توحيد الحلم: هذه الوحدة التي لن تتم، و لم تتم في ظل البنى السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية الطبقية، التي بلورتها الحلم. إن وجود حركة سياسية تركز قاعدتها الإجتماعية على فئات المثقفين أو الشبيبة المدرسية، لا يمكن أن يكون إلا انتقاليا. ذلك أن الشروط الخاصة بالصراع الطبقي في بلادنا قد بررت هذا البروز، بسبب تخلف عملية الفرز ظرفيا بين الطبقات الشعبية على مستوى السياسي و الإيديولوجي، و تخلف هذه الطبقات عن صياغة برامجها و أهدافها الخاصة و المتميزة في النضال السياسي كطبقات أو كفئات طبقية (و هذا حال البرجوازية الصغيرة المغربية أساسا)³⁸، جعل من الشبيبة المدرسية ظرفيا، قوة سياسية لها استقلاليتها النسبية، التي عبرت عنها الحلم، كما عبرت عنها النضالات السياسية المختلفة لهذه الشبيبة منذ 1965.

إن العشر السنوات التي مضت، جسدت مرحلة مخاض بالنسبة لمجموع الطبقات الاجتماعية، انعكست تأثيراتها على الشبيبة المدرسية و على الحلم، و عرفت الصراعات السياسية و الإيديولوجية تطورا في صفوف الحلم، تحت تأثير التطورات الطباقية الحاصلة في المجتمع، و تأثير الحركة النضالية للجماهير و التطورات التي عرفتها الحركة الجماهيرية خاصة على مستوى البرجوازية الصغيرة و الطبقة العاملة المغربية.

و من بين نتائج عملية الفرز المستمرة، الفرز المتواصل بين الإختيارات الإصلاحية و الراديكالية داخل الحلم، و مع تعاضم الدور السياسي للمواقع الطباقية الأخرى خارج الشبيبة المدرسية، أصبحت عملية الفرز هذه تقوم على أساس استقطاب سياسي طبقي بين قوى البرجوازية الصغيرة ذات القواعد الاجتماعية الواسعة و الثابتة، و بين اتجاهات الحلم المختلفة في أوساط الشبيبة المدرسية، هذا التقاطب الذي لازال جينيا و الذي تتجلى معالمه في ثلاث اتجاهات عامة :

• القطب الإصلاحي البرجوازي الصغير: و الذي يمثله داخل الحلم اتجاه "23 مارس" الجريدة³⁹، و الذي لا يشكل إلا رافدا من روافد السياسة التي تنهجها الأحزاب الإصلاحية التقليدية تحت غطاء "الواقعية الثورية"، مع حفاظه على اللفظ الماركسي اللينيني، و بحثه عن توطيد روابطه بالفئات المثقفة من البرجوازية الصغيرة.

38. ليس هذا صحيحا، لقد كان للبرجوازية الصغيرة و المتوسطة المغربية، من يمثلها سياسيا، و نعيي بهما حزب الاستقلال و حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية آنذاك، أما الطبقة العاملة المغربية، فقد فشلت تجربة بناء حزبا الأولى، بسبب الخط التحريفي للحزب الشيوعي المغربي ...

39. المقصود هنا هو الاتجاه اليميني داخل منظمة "23 مارس" الذي استولى على قيادتها بعد اعتقالات 1974-1975.

• القطب الراديكالي البرجوازي الصغير: الذي يعرف لحد الآن غموضا كبيرا، فهو يبرز أساسا مع تنامي النضال الجماهيري حيث يتجسد في بعض توجهات الحلمم و الاتجاهات الجذرية في صفوف الأحزاب التقليدية أو النقابات.

• القطب الراديكالي الفوضوي: (إن الفوضوية هنا لا تعني أي مطابقة مع الاتجاه الفوضوي التاريخي المعروف): و الذي يتجلى فيما تبقى من منظمة إلى الأمام على مستوى الحلمم، و يجد قاعدته التقليدية في توجهات الحركة الطلابية و الشبيبة، دون غيرها لحد الآن، و يعيش وضعية التشتت و العزلة الخائفة عن الجماهير.

و لقد أدى غياب قاعدة ثابتة اجتماعية خارج الشبيبة المدرسية إلى عزلة العناصر الثورية المنبثقة عنها، و لعب دورا في مسيرة التخالف و التشتت التي عرفتها الحركة الماركسية اللينينية، خاصة أن هذه الحركة قد حددت لنفسها مشاريع ثورية لايمكن أن تنجز إلا بمساهمة أوسع الجماهير، الشيء الذي أصبح مستحيلا في غياب الارتباط بهذه الجماهير.

و بقدر ما عرفت الشبيبة المدرسية إنحسارا في مدها النضالي، و بقدر ما تعمقت تعقيدات الصراع الطبقي، تعمقت أيضا مسيرة التشتت و العزلة، إن النهج الحلقي داخل الحلمم يجد أسبابه العميقة في هذه العناصر، و في طبيعة القاعدة الاجتماعية التي أفرزت هذه الحركة، كما يجد جذوره أيضا في الرصيد السياسي و الإيديولوجي للحركة الثورية المغربية منذ ما قبل الاستقلال الشكلي، و التي كانت من ميزات الأساسية منذ الحركة الطلابية، تتكون من عناصر يمكن اعتبارها برجوازية صغيرة ، فإن خصوصيات هذه الحركة تؤدي إلى ربطها أكثر فأكثر بالجماهير الشعبية. أما التلاميذ فيمكن إعتبارهم أشباه بروليتاريا semi-prolétariat، نظرا لواقعهم و إنتمائهم لأوساط فلاحية و عمالية أساسا، و لطبيعة التعليم في بلادنا التي تدفعهم للإتحاق بصفوف الطبقة العاملة نظرا للتصفية المنهجية.

إن الروابط التي تجمع ما بين الشبيبة المدرسية و خاصة التلاميذ ، و بين الطبقات الأساسية روابط عضوية تفتح آفاق إنتشار الفكر الماركسي داخل هذه الطبقات عبر قنطرة الشبيبة المدرسية، كما أن طموحات حركة هذه الشبيبة يمكن إعتبارها تعبيرا عن مطامح الجماهير الشعبية ، و لهذا فالشبيبة المدرسية تشكل المثقف العضوي لهذه الجماهير.

- و هكذا تتجلى لدينا معالم الحزب المزمع بناءه من طرف منظمة إلى الأمام و الحلمم ، ذلك أنه ينطلق من منظمة للمحترفين الثوريين تفرزها الشبيبة المدرسية المثقف العضوي ، ليتسع داخل الطبقات الثورية .

- و سنحاول مناقشة هذا الطرح من بعض جوانبه النظرية ، و كذلك من بعض جوانب الصراع الطبقي في بلادنا و

خصوصياته و هكذا:

أ - حول المثقف العضوي.

في محاولة البحث عن إمتدادات هذه الأطروحة داخل الحركة الشيوعية العالمية، نجد أنها تبلورت أساسا لدى غرامشي، إلا أنها تجد جدورا لها عند لينين أيضا: إن لينين يرى بأن كل طبقة إجتماعية تفرز مثقفيها الخاصين بها، فالبرجوازية تفرز ثقافتها و المثقفين الذين يدافعون عنها و يبلورونها يعتبرون مثقفين برجوازيين، و الطبقة العاملة بدورها تبلور مثقفيها الذين هم أساسا عمال، إكتسبوا من خلال مجهوداتهم أو شروطهم الخاصة إمكانية التعبير عن ثقافة عمالية.

و كما أن المثقفين البرجوازيين، ليسوا دائما من زاوية إنتماءهم الطبقي أبناء للبرجوازية، بل هم في شروط هيمنة البرجوازية على المجتمع، يمكن أن يكونوا أبناء للبرجوازية الصغرى أو الطبقة العاملة يتبنون و يدافعون عن ثقافة و إيدولوجية البرجوازية، فإنه من الممكن أيضا أن تصبح عناصر مثقفة برجوازية صغيرة أو برجوازية جزءا من مثقفي الطبقة العاملة، إلا أن هذا لا يتم إلا في إطار تطور الصراع الطبقي، و بروز الطبقة العاملة كقوة طبقية مستقلة تستقطب حولها فئات طبقية و إجتماعية أخرى، و بالتالي يتم هذا بعد أن يتقدم تبلور الوجود السياسي المستقل للطبقة العاملة في خضم الصراع الطبقي.

و إذا كان تقسيم المجتمع إلى طبقات يبقى هو القاعدة الأكثر عمقا التي تركز عليها التقسيمات السياسية في هذا المجتمع، إلا أن هذه القاعدة الراسخة لا تبرز في نهاية المطاف، إلا مع مسيرة التطور التاريخي، و بموازاة مع تطور الوعي لدى هذه الطبقات، و هذا يتم من خلال الصراع السياسي، و المثقفون في المجتمع يعبرون و يعكسون بوعي أكثر و تصميم أكثر و أمانة أكثر عن تطور المصالح الطبقية و تطور التقسيمات و التجمعات السياسية فيه، و تشكل الشبيبة المدرسية الجزء من المثقفين الذي يتفاعل بحيوية مع هذا التطور.

هذه هي بتركيز عام وجهة النظر اللينينية من مسألة المثقفين و علاقتهم بالطبقات الاجتماعية، و هي وجهة نظر تحدد أن وجود مثقفين يعبرون عن مصالح الطبقة العاملة في صفوف الطبقة العاملة مسألة طبيعية، أما وجود مثقفين يعبرون عن مصالح هذه الطبقة خارجها، فهذا رهين بتطور الصراع الطبقي و تطور الصراع السياسي ضمنه، و الذي يؤدي الى فرز الطبقة العاملة كقوة سياسية متميزة عن باقي القوى السياسية الطبقية المتواجدة فيه. أما بالنسبة لغرامشي، و لقد كان من بين القلائل في صفوف المفكرين الشيوعيين الذين إنهمكوا على دراسة المسألة الثقافية بشكل خاص، و هو يرى أن أية طبقة إجتماعية أو فئة طبقية تنمو على التربة الخاصة -le terrain originel- لإنجاز وظيفة جوهرية في عالم الإنتاج الاقتصادي، و تخلق في نفس الوقت عضويا من صفوفها شريحة أو شرائح من المثقفين الذين يعطون لهذه الطبقة أو الفئة إنسجامها و تماسكها و وعيها بوظيفتها الخاصة، ليس فقط في المجال الاقتصادي، و إنما أيضا في المجال السياسي و

الاجتماعي (إن غرامشي يعطي مضمونا خاصا و واسعا لمفهومي المثقف و الثقافة)، و هو يفصل بين "المثقفين التقليديين" و بين المثقفين العضويين، و يميزهم عن بعضهم البعض، بل يضيف أن من الخصوصيات الأكثر أهمية لدى أية طبقة تسعى للوصول إلى السلطة، الصراع التي تخوضه من أجل الاستيعاب و الإحتواء الإيديولوجي للمثقفين التقليديين، و يتم هذا بسرعة و فعالية أكثر، إذا ما كان في قدرة هذه الطبقة أن تفرز بشكل أوسع، في نفس الوقت، مثقفيا العضويين. أما ماوتسي تونغ، فإنه لم يتعرض لهذه المسألة بوضوح، إلا أنه طرحها في بعض جوانبها الملموسة، و هكذا فمن بين التصورات التي تبلورت لديه مايلي:

إن المثقفين لايشكلون طبقة إجتماعية، و لكن إنتاجهم الفكري يمكن أن يستعمل و هو يستعمل فعلا من طرف طبقة سائدة، أو تلك التي تطمح للسيادة، و لهذا فإن أي عمل فكري لا يمكن فصله عن السياسة، و من أجل تحديد ثورية أو عدم ثورية أو رجعية مثقف ما، يوجد مقياس حاسم ، يكمن في معرفة ما إذا كان هذا الأخير يرغب في الارتباط و يرتبط فعليا بالجماهير العمالية و الفلاحية، إلا أن المثقفين قبل أن يرموا قلبا و قالبا في النضال الثوري للجماهير و يقررون خدماتها و الانصهار فيها، فإنهم أحيانا يسقطون في عديد من الأخطاء، لذا، فإنه مهما كان المثقفون الثوريون يلعبون دورا طليعيا و يقومون بدور القنطرة، فإنهم ليسوا جميعا ثوريين حتى النهاية.

و لقد بدأت تتجلى لماوتسي تونغ أهمية مسألة المثقفين بشكل ملح، منذ سنة 1957، حين طرح بأن السلطة في يد أية طبقة كانت، لا يمكنها أن تظل قائمة، بدون مثقفين. و لهذا فعلى البروليتاريا الصينية أن تكون مثقفيا الخاصين بها *ses propres intellect*، و كان هذا هو أول طرح يمس بصلة للمثقف العضوي، و يمكننا اعتبار أن ماوتسي تونغ جعل من بين مهمات الحزب العمل على فرز مثقفين عمال من صفوف الطبقة العاملة.

فماهي خلاصتنا على ضوء كل ما سبق حول المثقف العضوي ؟

إن المثقف العضوي لا يشكل ناقلا لإيديولوجية طبقة غير الطبقة التي ينتمي إليها، و لكنه أساسا المعبر عن إيديولوجية طبقة الخاصة، و لو في أشكال جنينية، و الشبيبة المدرسية ليست سوى فعة من المتعلمين تتضارب وسطها مختلف الإيديولوجيات، و يظل الطابع العام لاختياراتها هو الطابع الديمقراطي الذي يمكن أن يأخذ في مراحل و ظروف معينة مضمونا جذريا، إلا أنه يظل دوما ديمقراطيا برجوازيا صغيرا حتى في تعبيراته الجدرية.

إن تحديد علاقة الشبيبة المدرسية بالجماهير الشعبية بإعتبار الأولى مثقفا عضويا للثانية، مسألة غير سديدة، بإعتبار أن هذا المفهوم إتخذ مضمونا دقيقا و واضحا وسط الحركة الشيوعية العالمية، بل إنه في واقع بلادنا الخاص عبرت الشبيبة

المدرسية لحد الآن عن طموحات هي أقرب منها إلى البرجوازية الصغيرة الراديكالية، من قربها لأية فئة طبقية أخرى في المجتمع.

ب - المقدمة التاكتيكية

إن تجربة الحركة الشيوعية العالمية تبرز أنه إذا كانت الماركسية قد برزت داخل الحركة العمالية الغربية في أربعينيات القرن 19، فإنه لم يتجلى خلال هذه المرحلة نضال سياسي متميز داخل الشبيبة المدرسية، إلا أن التجربة الروسية، تؤكد أن الشبيبة المدرسية لعبت دورا في رفع الشعارات السياسية خلال نضالاتها، في وقت كانت فيه الحركة العمالية في روسيا عاجزة فيه عن ذلك. و يسجل لينين ذلك بقوله في 1900 ما مضمونه أن الوقت الذي كانت فيه الشبيبة المدرسية تخوض لوحدها النضال السياسي قد بدأ يولي، و لقد أصبحت الحركة العمالية و الاشتراكية الديمقراطية داخلها، قادرة على خوض النضال السياسي ضد القيصرية. و يقول لينين في مجال آخر بأن الوقت الذي كانت فيه حلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية تضم العديد من الطلاب و قلة من العمال قد مضى، و إن حلقاتنا اليوم تضم العشرات و المآت من العمال في كل أنحاء روسيا، و من هنا نخلص إلى أن لينين لم يكن يسجل دور الشبيبة المدرسية في النضال السياسي، إلا كظاهرة سلبية، تعتبر المهمة الأولى و الأولية للشيوعيين، هي تجاوزها بالاندماج المباشر بالطبقة العاملة، و حركتها، و دفع نضالاتها خطوات إلى الأمام، لكي ترقى إلى مستوى تحمل مسؤولياتها التاريخية.

أما التجربة الصينية، فمن بين الأحداث البارزة فيها أحداث 4 مايو، التي لعبت فيها الشبيبة المدرسية دورا كبيرا، إلا أن خصوصيات النضال السياسي في الصين أدت إلى تجاوز دور المثقفين عموما، بما فيهم الشبيبة المدرسية، بسرعة كبيرة، و لم يكن للشبيبة دور متميز كفته إلا في المرحلة ما قبل 1919⁴⁰.

إن تاريخ حزب العمل الألباني يؤكد على دور الشبيبة المدرسية في النضال السياسي خلال التجربة الألبانية، كما يبرز بشكل عام موقع شرائح البرجوازية الصغيرة الهائل داخل حزب العمل. و من خلال إستقرائنا لهذه التجربة، نجد أنه في خلال مرحلة ما قبل التأسيس للحزب لعبت الشبيبة المدرسية دورا نضاليا هاما، خاصة و أن الطبقة العاملة حينذاك، لم تكن تتجاوز عدديا بضعة آلاف، و كان النمط الحرفي للإنتاج واسع جدا.

و هكذا فإننا نخلص، من خلال إستعراضنا لبعض التجارب (و لو في عموميتها) بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية، إلى

40. إن ادعاء الكاتب بأن الشبيبة لم يكن لها دور متميز بالنسبة للصين إلا في ما قبل 1919، قول لا يستند على حقائق تاريخية، و لا مزيد للتفصيل.

أن دخول الشبيبة المدرسية معمعان النضال السياسي ليست ظاهرة جديدة، و إنما كانت مسألة قائمة تاريخيا في تجارب عدة، منذ بداية القرن الحالي، و نخلص أيضا، إلى أنه في إمكان الشبيبة المدرسة أن تعبر في ظروف محددة، أو في ظل مرحلة بكاملها، عن مطالب سياسية مكشوفة تكون القطاعات الجماهيرية الأخرى دون مستوى التعبير عنها، في ذلك الظرف أو المرحلة، إلا أن الشيوعيين تاريخيا لم يعملوا على تنظير هذا الواقع و تشريع إستراتيجيته، بل إعتبروه دوما عنصرا سلبيا، من مهامهم الأكثر أولوية تجاوزه، بإعطاء الطبقة العاملة دورها الطبيعي.

إن واقع الصراع الطبقي ببلادنا، أبرز دور الشبيبة المدرسية كأحد المواقع النضالية في مواجهة الاستعمار، و ذلك تحت قيادة سياسية طبقية برجوازية الطبيعة، مترسخة في عدد من المواقع الجماهيرية الأخرى، و ملقبة بهيمنتها حتى داخل الحركة العمالية المغربية. و لن نغفل هنا، أن المناوشات الأولى للبرجوازية المغربية مع الاستعمار، إنطلقت في بداية الثلاثينات من "القرويين"، و من تشكيل جمعيات الشبيبة بالرباط و فاس تضم شباب مثقفين، و هذا ليس فريدا من نوعه على الإطلاق، ذلك أن البرجوازية في كافة المجتمعات تعتمد في نشاطها السياسي على الفئات المثقفة بشكل كبير.

إلا أن مرحلة الاستقلال الشكلي، سجلت منعطفًا جديدًا و بداية مسيرة جديدة بالنسبة للشبيبة المدرسية، خاصة منذ مؤتمر أزرو في مطلع الستينيات لأوطم، و لقد إرتبطت الشبيبة المدرسية خلال الستينات بالإتجاه الرديكالي البرجوازي الصغير داخل إ و ق ش (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية)، و عبرت في 65 عن رفضها للنظام القائم بوضوح.

و في سنة 69، برز في صفوف الشبيبة المدرسية إتجاه سياسي جديد، تجسد في الحلم، و على قاعدة توجهات سياسية ثابتة، لم تعد لها تجليات ظرفية، و إنما تحولت إلى مستوى تصور سياسي عام، عبرت عنه كل الصراعات التي دارت في المؤتمر 14 لأوطم و مقررات مؤتمره 15، و النشاط في صفوف حركة التلاميذ. إن هذه التوجهات السياسية للشبيبة المدرسية جعلت من حركتها منذ الاستقلال الشكلي إلى يومنا هذا، و التي كانت من ميزات الاساسية الحلقية المدفوعة. هذه هي الأسباب التي تبدو لنا بشكل أولي كعناصر حالت في وجه عملية التوحيد داخل الحلم، و التي تدفعنا إلى اعتبار إستحالة تحقيق هذه الوحدة خارج الأقطاب التي تعرف سيرورة التشكل حاليا.

خاتمة

1 - إن النقد للأطروحات التي عاجناها هنا، لازال ناقصا، و لم نتطرق هنا لعدة قضايا مرتبطة به، نذكر منها على سبيل المثال، خطط الحلم في العمل داخل الطبقة العاملة، مسألة السرية و الاحتراف كتصور و كتجربة عملية عند الحلم، مسألة مناطق الصدام عند منظمة إلى الأمام، موقعها بالنسبة لمفصلة الحزب، مسألة الجبهة و علاقتها بالحزب،

علاقة الحزب بالنضال الديمقراطي، و مسألة العنف... إلخ.

كما أننا نعتبر أن هذا النص، حتى ولو عالج هذه القضايا، لا يمكن أن يشكل تقييما إلا من خلال استيعاب الشروط الطبقية التي أنتجت كافة هذه التصورات، و هذا شئ لا يمكن أن تعوضه بعض "الفلاشات" الواردة هنا. إن أهمية هذا النص تكمن في محاولته نقد بعض التصورات الأساسية في أطروحات الحلم، ذلك، بإعتبار أنه إذا كان الوعي بفشل الممارسة السياسية للحلم حاصلًا اليوم بالنسبة لأغلب اتجاهاتها، إلا أن عملية نقد الفكر السياسي الذي برر هذه الممارسة لازالت متخلفة، و لازالت الأطروحات الأساسية للحلم تشكل قاسما مشتركا لمجموع اتجاهاتها التقليدية أم "الجديدة".

2 - إن الحكم التاريخي على تجربة الحلم، يستلزم وضوحا نظريا بالنسبة للثوريين حول المهمات الراهنة، الشئ الذي يغيب في هذا النص، نظرا لما يتطلبه هذا من إنطلاقة ممارسة ثورية نقيضة في ساحة الصراع الطبقي، و هو شئ، يجب تسجيل غيابه و بشكل حاد لحد الساعة، و في الأخير، إن هذا النص وجهة نظر متواضعة تبحث عن الحقيقة الثورية، و هي موضوعة للنقد و الصراع.

ب.ز

1979/12/12